
الثقافة
مجلة فكرية جامعة تصدر في دمشق



الثقافة

أدبية فكرية جامعة تصدر شهرياً في دمشق تأسست عام ١٩٥٨

مؤسسها ورئيس تحريرها
مدحة عكاش

FONDATEUR
ET REDACTEUR EN CHEF
Madhat Akkache

هـ ٢٢٩٩٨٤	P.H 229984
ص.ب/٢٥٧٠/	B.O.P. 2570
دمشق	DAMAS

التحرير

وداد قباني   مصطفى النجار

أيلول ١٩٩٢

محتويات العدد

مَضَت كالشّمس غارِبة

في ذكرى فقيدة الشعب والدة السيد الرئيس

شعر : حامد حسن

كفاها في العلى شرفاً وجاها
بأنّك يا ابنَ أكرمنا فتَاهَا

كفاها في الحياة بك اعتزازاً
وحسبُكَ ما تنالُ بهِ رضاهَا

وقد ارضيتَ أقوالاً ، وفعلاً
ضميرك ، والأمومة ، والإلها

تنضّرتِ الحياةُ بها ، وأغفتْ
على الحُلُم المنضّرِ مُقلتاها

وترتادُ الهناءة مقلتيها
وقد رقدت لأنّكَ في رؤاها

مضت كالشمس غاربةً ، وأبقت
- ليبقى البدرُ متقداً - سناها

إذا ارتحل الربيعُ فليس بدعاً
إذا أبقت خمائله شذاها

سقت ظمأ العفاة نديَّ كف
وما ظمىء امرؤ الا استقاها

فأتلع جيده التاريخُ ، لمّا
كسته ما أدل به ، وتاها

تمرغت الروائح ، والغوادي
بشاهدة الضريح ، وعَطَّرَاها
ورفّ الفجرُ ، والشفق المندى
بها متألقين ، ولوناها

* *

أبا الكلم المُضوأة النّدايا
تخيّرها بيانُك ، وانتقاها
نزلتَ بها على الأكباد ريا
وقد خبر السُّلافَ من احتساها
أخا الفصحى ، لك الخطب العذارى
يظل بمسمع الدنيا صداها
ارى الأخت الغبينة لا تنادي
اذا عبثوا بها إلا أخاها
غدت مرمى سهام بني أبيها
لقد عقّ الأبوةَ من رماها
يرون هوانها فرضا لزاما
وعز على " مُحمد " أن يراها
تضيق بهم اذا وجموا كلالاً
وتشنأُهم إذا نطقوا سِفَاها
حمىَ اللهُ العروبة من بنيها
ومن نفرٍ تشدّق وادّعاهَا
تُراثُ بني أبي والقدسُ نهبى
كأن الله للمحن اصطفاها
أُباحوها فلا عذراء عيسى
تُصانُ بها ، ولا زهراءُ طَه
تعهّدَ أصغراكَ قضيتيها
وأرهبُ ما تكونُ قضيتاها

تجمّع ما يفرقه بنوها
وترصد ما يبيته عداها
تسيرُ بها الى الهدفِ المرجّى
تسدّدُ في مسيرتها خُطَاها
نزلت بها جبين الشمس داراً
لتقتطف الكواكبَ راحتاها
كأن الله أودعَ فيك سراً
خفياً لا نُحيطُ بهِ اكتناها

* * *

صَبوْتَ - وكلنا صابٍ - ولكن
صُبوُّك للحقيقة لا سواها
إذا احتضنتك شوقاً ، واطمأنت
إليك ، فإنك الحامي حماها
وفكرُك مترف الخطرات ، تغنى
به حتى الحياة على غناها
ورأيُكَ كلما أربدّت ، وغامت
علينا كلّ حالكةٍ جلاها
عبرتَ ، وموكبُ التاريخ جاثٍ
يعفر عند موطئِكَ الجباها
وفحت ألف ناعقةٍ ، ولكن
عقلتَ لسانها ، وكممتَ فاها
دعوتَ ، فبادر اليقظى ، ولكن
تبين من سها ، أو من تساهى
طلائعُ من صنيع يديك باهت
بِك التاريخ مزهواً ، وباهى

كتائبُ من بنيك إذا أشارت
مغاضبة الى الزمن اتقاها
أفضت النعميات على البوادي
وأدركت الحواضر مبتغاها
مضيتَ ، وما انثنيتَ ، ورب سارٍ
تباطأ في المسيرة ، أو تلاهى
يد تبني لنا وطناً ، وتعلي
وعينٌ ترصد الهدف اتجاها
لأن الله خبأ فيك سراً
خفياً لا يُحاطُ به اكتناها

* * *

إذا سألوا السماء - وأنت فينا -
من الأبهى ؟ تخاجل نيراها
لك النسبُ المناطُ على الثريا
تفرد لا يرامُ ، ولا يُضاهى
إذا انتسب اللداتُ نزلت بيتاً
أحلك من " قضاعة " في ذراها
وانّ " قضاعةً " وبني " معدٍّ "
لناصية العلى ، وذؤابتاها
وكل مكارم الحقب الخوالي
وأمجاد الحياة تقاسماها

* * *

عزاء ، إنه الأجلُ المسمى
ليختصر الحياةُ به مداها
إذا انطفأت حياةُ أحنّ أمٍ
فما انطفأ الحنينُ ولا تناهى

تطـوفُ مع الغـداة ، وفي العشـايـا
بنـا روحـاً .. ولكـن لا نـراهـا
وحُبك ، والحنـانُ لو استـفاضـا
عـلى الـدمـن الجـديـبـة خضـلاهـا
وجيـبٌ يـلـفـح المهج الحـزانـي
وذكـرى تـزرعُ الشفتيـن آهـا
فعنـد اللـه ما كسبـتْ ليرضـى
وللتـاريـخ مـا وهبـتْ يـداهـا
وقـد أُرضيـتَ أقـوالاً وفعـلاً
ضميـرك ، والأمـومـة ، والإلهـا

حامد حسن

أشواق

منور عبد السلام الحكواتي

أغرى العواذل هجرا منك قد طالا
والقلب من فرط شوق ساء أحوالا
هواك في خافقي أنساه ، يذكرنـي
وفي فؤادك بات الحب أثمالا
أبقى أمنـي فؤادي في الهوى أمـلا
حتى احتوى أملي في العذل عذالا

منور عبد السلام الحكواتي - حماه

أزمة الثقافة و الحلول المقترحة

ندرة اليازجي

تأملت العمق القائم في الموضوع الذي أطرحه الآن على بساط البحث ساعيا الى معرفة السر الكامن في كلمة ثقافة وكلمة أزمة أو مصير ، وقادني تأملي هذا الى تصور وادراك المعنى المتضمن في القيمة الحضارية الماثلة في حياة الشعوب والمجتمعات والأفراد ، ولما كانت الثقافة مفهوما يستغرق الروح الانسانية التي تبلغ ذروة " مصيرها " في إبداع لا منته ، ينتشر في ارجاء العالم ويفعل فيه على نحو " فكرة " تسير في التاريخ البشري ، فإن الحضارة تعبر عن ذاتها في " مثال " أسمى للثقافة ، ومتى بلغ المجتمع او الشعب هذا المستوى من الابداع الثقافي والعمق الحضاري أصبح شموليا وعالميا ، وترسخ في جوهر الحقيقة الانسانية ، وعندئذ لا يتلاشى الاشعاع الفكري ولا يموت بل يتألق في " المحيط الروحي" الذي يغلف الوجود الانساني كخلفية تسجل عليها ما تدونه الشعوب والمجتمعات والأفراد من مآثر وإنجازات حضارية وثقافية وعلمية ٠

تأملت مفهوم الثقافة فوجدت أنه مفهوم حضاري يرتكز على قواعد هي مقومات ومكونات أساسية تتمثل في :

١- العقل المنفتح ٠ ٢- والعقل المكون ٠
٣- والفاعلية الناشطة الى تحقيق غاية إنسانية ، وتستغرق في تصور الماضي الحضاري الذي عاش أسلافنا مضامينه الشمولية والانسانية ٠

أدركت أن تلك الشمولية التي قامت في صميم ماضينا الحضاري حقيقة دائمة وذلك لأنها توحدت مع " الروح " الشاملة والوعي الكوني اللذين يعبران عن جوهر الحضارة والثقافة ، أدركت كيف بلغت ثقافتنا الماضية تخوم الوعي وكيف توحدت مع القيمة الانسانية التي تبقى المصدر الاول والغاية القصوى للوجود ، لذا ، أسمح لنفسي أن أقول : إننا نتحدر من أصول حضارية أمدت التاريخ الانساني بمبادىء تخلد في سجل الوعي الانساني ٠

تأملت السيرة التاريخية لثقافتنا ، فرأيت القيمة الحضارية والثقافية المتضمنة فيها تتراجع وتتقهقهر ، رأيت ذبول " الفكرة " وهي تتعثر في مسيرتها التاريخية ، وشاهدت تضاؤل " المثال " الذي يعبر عن تألق المشعل الحضاري ، وتساءلت عن الاسباب التي أدت الى هذا التراجع أو التباطؤ فوجدتها في الهزيمة التي ألحقت ضررا كبيرا في العقل المنفتح والعقل المكون والطاقة الناشطة ، لقد استسلم العقل المكون والمنفتح الى سباته العميق .

بدأت استشف معالم هذا السبات العميق الذي تتراقص في حلبته أطياف المفاهيم الخاطئة المتمثلة بالقدرية ، والحتمية والمصير المتصل بهما ، فأدركت أن المجتمع الانساني الذي يغلف ذاته في ثنايا المفهوم السلبي للقدرية ،" يحتم " على وجوده " مصيرا " مأساويا ينتهي الى انطفاء مشعل حضارته .

تشير هذه المقدمة الوجيزة الى ماتعانيه ثقافتنا من قدرية حتمتها على ذاتها ، ومصير جعلته سيرورة وصيروة لها ، ولما كنا نسعى الى خلاص ينقذنا من سلبية هذا الفهم فيجب علينا أن نتفهم ايجابية المصير الناتجة عن قدر خال من شوائب السلب ، وذلك من أجل تحقيق مفهوم الحرية .

نستطيع أن نفهم كلمة " القدر " على الصعيد الاجتماعي كما يلي :

يشير القدر المطروح على الصعيد الجماعي الى الاشراطات العديدة التي تقيد المجتمع ، والأعمال السابقة التي أصبحت دينا عليه وقضاء له وفي هذا السياق ، لا نقصد بكلمة " قضاء " عقدته مفروضة على المجتمع من محرك خارجي أو قوة خارقة ، القضاء ، في هذا المجال ، هو ما يترتب على المجتمع من " واجب " إزاء الاخطاء التي اقترفها ، ليفك اسار القيود التي غلف ذاته بها ، والمسؤوليات التي تهرب منها ، ويتركز هذا " الواجب " في تنشيط الطاقة الفاعلة الحرة ، هذا لأن المجتمعات كما الأفراد ، تزرع وتحصد ، وان مازرعه مجتمع في الماضي البعيد " لا وعيا " متمثلا بالاخطاء التي يمكننا إحصاءها ، لا بد وأن يتحول الى " قدر " يحتم عليه ، بفعل الواجب القائم في تنشيط الطاقة الفاعلة ، العقل الحر الذي يساعده على الخلاص من مآسي الماضي والانطلاق الى رحاب المستقبل ، وهكذا ، يتجنب المجتمع العيش في تضاعيف الماضي ويتجاوز المعاناة من وعي يلقي عليه الظلام ظلاله ، ويعمد الى تكوين " عقله " من جديد بحيث ينفتح الى الحضارة الانسانية والثقافة العالمية ، وينشط فاعليته الخامدة . وعلى هذا الاساس ، يمثل القدر في قوة دافعة الى الامام ، لا تسمح للمجتمع ان يعيش في الماضي الذي حتم عليه المعاناة ، وألقى على أكتافه مسؤولية الخلاص من إشراطات ذلك الماضي ...

يجدر بنا ، وقد بلغنا هذا الحد من حديثنا ، أن نعالج الاسباب التي تجعل المجتمعات البشرية تؤكد في ظلال وادي القدرية ، ونبحث في العوامل التي تساعده على الخلاص من الاشراطات الماضية التي قيد المجتمع ذاته بها ، لينشيء ثقافة انسانية تدوم دوام الدهر .

أولا - تمثل الماضي على نحو عرفان وحكمة :

يتجه المجتمع الذي يسعى الى الخلاص من قيوده وتجاوز إشراطاته الى ماضيه ليستشف منه كل عرفان وحكمة ، ويشير هذا الاتجاه الى دراسة الماضي بدقة وتفهم الأسرار العميقة القائمة فيه ، ولما كنا نعمل على إدراك المغزى الروحي ، والعملي ، والثقافي ، والحضاري القائم في ماضينا ، فانما لنرى العرفان الذي حققه أسلافنا وبنوا حضارتهم على أساسه ، فقد بلغ أسلافنا مستوى عاليا في

نطاق الفكر ، نجد مسطرا في الكتابات الكثيرة والألواح العديدة المكتشفة ، وفي الأساطير التي تجلت في حكمة الماضي ، وإذا ما تعمقنا الى باطن حضارتنا وثقافتنا القديمة وجدنا الغنوص الماثل في سرانيتة الكبرى ، وعندئذ ، ندرك أن الحضارة التي احتوتها ثقافة راقية في ماضينا ، لا تقل أهمية عن سرانية الهرم المصري ، واسرار مدرسة دافي الاغريقية ، وهكذا نقول : ان العود ، الى تلك الحكمة الكونية والانسانية العميقة لا يعد انكفاء او اسقاطا او ارتكاسا الى العيش في الماضي على نحو قدر محتم ، بقدر ما يعني أننا نتلمس مواضيع القوة الكامنة ونبحث عن الحقيقة القائمة في ذلك الماضي ومعرفة أنها تتلاءم مع أحدث القواعد العلمية والفكرية المطروحة في العصر الحديث ، وفي هذه النطاقات نعترف أن حكماء ومفكري العصر الحديث يقرون بأهمية المستوى الحضاري القديم الذي أضاء في هذا الجزء من العالم بشمولية فكرية وعالمية انسانية ، وثقافة راقية ، وحضارة بناءة •

ونضيف الى ماذكرناه ان العلماء والمفكرين المحدثين يدركون ان ثقافتنا القديمة إنسانية في جوهرها ، حكمية في عمقها ، وعلمية في اساسها ، تتماثل ، دون أن تتناقض ، مع مبادىء الثقافات الاخرى التي تميزت بعالميتها ، وشمولها ، وإنسانيتها •

ثانيا - تجاوز الماضي المشروط :

تحدثنا في الفقرة السابقة عن عودة الى الماضي أشارت الى رؤية الحقيقة القائمة فيه ، الحقيقة التي ترمز الى غنوصية توافقت مع كل غنوصية أخرى يعود اليها العلماء ليستشفوا المبادىء التي قامت عليها ، وذلك في سبيل إعلاء صرح قديم جديد للعلم الحديث واقامة مجتمع عصري تنسجم مقومات علمه مع مقومات الحكمة القديمة •

يمكننا أن نشبه العودة الى الماضي الاجتماعي الغابر بالنظرة التأملية التي يلقيها الانسان على نفسه هادفا الى تجاوز الأخطاء التي اقترفها سابقا وساعيا الى اعادة تقييم كيانه ، ولما كنا من دعاة مفهوم التجاوز ، فإننا ننادي بعودة الى الماضي تنأى عن محاولة العيش في مضامينه اللامنطقية او في ارهاصاته ، ومع ذلك ، لا تشير هذه العودة الى التخلي عن الماضي حتى ولو حفل بالمآسي والالام الكثيرة ، بل تشير الى جهد نبذله لكي تتجاوز محدوديته وضيق نطاقه وانغلاقه ، وعلى هذا الاساس ، نستطيع أن نماثل العيش في الماضي بالعمودية الساكنة ، وتجاوز الماضي بالأفقية المتحركة •

يعد العيش في الماضي عمودية تسعى الى البقاء في موضعها على نحو جمود غير قابل للحركة والتقدم ، وهكذا ان تكون العمودية قضية سكونية تتموضع في الزمان والمكان ، فهي مكانية ساكنة من حيث أنها لا تقبل أبعادا أخرى ، ولا نرضى ان نعترف بوجود الامكنة التي تحمل ثقافة او حضارة على ثقافتها وغير حضارتها ، وهي زمانية ساكنة من حيث ان الزمان قد توقف في لحظتها الخاصة بها ، وامتلأ هذا الزمان بما يحتويه من حق مزعوم وقدسية مفترضة ، ولم يعد قابلا للتقدم في مسيرته التاريخية الافقية وعلى هذا الاساس يتركز التاريخ الثقافي والحضاري في مكان محدود وزمان معين ، الأمر الذي يدعو الى تركيز الزمان المقبل في اللحظة العمودية الماضية والمكان المقبل في المكان الماضي ، المدد والمعين الذي لا يقبل الموجودات المكانية والزمانية الاخرى ولا يعترف بها • وهكذا ، يخضع الحاضر والمستقبل للماضي المحدد بالزمان والمكان ، وتسيطر العمودية الجامدة على الافقية المتحركة •

تشير الحقيقة الى أن المجتمع الحضاري الذي يتمتع بثقافة انسانية منظورة يسعى الى اقامة انسجام بين العمودية والافقية ، وانشاء جسر بين

الماضي والحاضر والمستقبل ، والحقيقة ان هذا المجتمع يعمل على التوفيق بين العمودية والأفقية ، ونعني انه يجعل العمودية متوافقة مع كل نقطة من نقاط الافقية . ولما قلنا أن العلم أفقي في نموه والفكر أفقي في تطوره ، والتاريخ أفقي في تصاعده، والحضارة أفقية في صميم تقدمها ، والثقافة هادفة في سيرها الى الامام ، أدركنا أن العمودية لا تستطيع الاحتفاظ بمحدودية مكانها الماضي وتعيين زمانها الماضي ، وان كانت هذه العمودية لا تتطابق مع كل نقطة من نقاط الافقية فإنما لتدل على أنها تسعى الى اخضاع الحاضر للماضي دون العمل على تجاوزه ، وتبذل قصارى جهدها لإلغاء الأفقية متهمة إياها بالزيف أو الانحراف والضلال ، وإذا كان الواقع يشير الى التركيز على العمودية دون الأفقية ، فإن الحقيقة تشير الى ان العمودية الجامدة تعاني في صميمها.

ان الانسجام بين العمودية والأفقية من خلال تجاوز إشراطات الماضي والتهيئة لتحقيق مستقبل يعتمد على تنشيط الطاقة في المجتمع ، قضية تشير الى ولوج محراب الانسانية والشمول ، والى بقاء المجتمع في نطاق سيرورته التقدمية التي تحفظه من الانحلال والدمار او التخلف .

ثالثا - إعادة النظر في الطروحات الفكرية السابقة

يعترف الباحث الدقيق بأن البعد الزمني الوحيد ماثل في الماضي ، هذا ، لأن المستقبل ، من خلال الحاضر ، يصب في تيار الماضي ، ويقرر هذا الباحث أيضا أن المستقبل الذي يشاكل الماضي يشكل عقبة كأداء في سبيل التقدم والتطور الصاعد ، والحق ، أن تأمل الماضي ، بكل ما يشتمل عليه ، عملية تؤدي ، في جوهرها، الى إعادة النظر في الشوائب التي تخللته والأخطاء المرتكبة ، وإذا كانت عمودية الماضي قد سببت خللا في التطور أو التقدم الأفقي ، فإن الأمر يقتضي تقييما جديدا لا يشير الى الاستغناء عن التاريخ الماضي بل يعمل على إصلاح الخلل الواقع وملء الفجوات والثغرات .

تتحقق إعادة النظر ، كما يتحقق التقييم الجديد ، من خلال عقل مكون وعقل منفتح ، فالعقل المكون يعدل العقل المكون الذي نشأت عليه الجماعة ، فكما أن العقل المكون الفردي يصوغ من جديد مادخل في صميم العقل المكون من إشراطات وانفعالات ، كذلك يعيد العقل المكون إنشاء العقل الجماعي المكون الذي أقام قاعدته على مغالطات الماضي ، وفي الوقت ذاته ، يعدل العقل المتفتح الانغلاق الناتج عن العقل المكون ، بحيث أن اللاوعي الجمعي المتراكم يخضع لمحاكمة جديدة تنأى عن الانفعال ، ولا يتوقف العقل المنفتح عند هذا الحد بل يتجاوز عملية تعديل الماضي وإجراء محاكمة جديدة الى اقتباس التجارب الانسانية الاخرى التي استعادت منها الشعوب الاخرى ، وذلك من أجل الدخول الى الشمول والعالمية ، ومع ذلك ، لا يتخلى العقل المتفتح عن الشخصية التي كونها العقل المكون من خلال العصور الماضية ، ولا يخرج العقل المنفتح عن نطاق " التعديل " لكي يظل محتفظا بشخصيته ، وكما ان الفرد لا يستطيع ان يتحرر من شخصيته ومسيرة حياته الذاتية ، بل يعدل ذاته ضمن تطور متنام الى التكامل .

ويتجنب التجزئة الداخلية ، كذلك يعجز المجتمع عن التحرر من شخصيته الماضية ، وذلك في سبيل تكامل داخلي يقلل من أغاليط العقل المكون ، وعندئذ ، يمكننا أن نقول أن العقل المكون ، هو عقل منفتح ، يستطيع أن يعيد النظر في أكثر الثوابت الفكرية والعقائدية التي تباها العقل المكون .

رابعا - تقويم التاريخ العام :

يشير مصطلح التاريخ العام الى الروايات

المنقولة التي تتحدث عن الماضي ، الى المعلومات المبلغة التي تتلقاها الأجيال الناشئة ، وتنطبع بما جاء فيها ، ولا نبالغ إذا قلنا بأن تلك المعلومات تصبح عقلا مكونا أو حقائق ثابتة يصعب أن تقبل المعارضة أو التبديل أو التعديل ، ولما كنا نرفض مبدأ " التغيير " في فردية الجماعة وتبني مبدأ " التعديل " في شخصيتها فإننا نعمل على تقديم أحداث التاريخ العام التي تخللتها الأخطاء ، ودونت على نحو انفعالي ، واذا كانت وقائع التاريخ والعلم قد دونت ، في غالبيتها ، وفق رغبات وانفعالات فئة وفئات معينة ، فلا بد أن تكون مشحونة بأخطاء كثيرة ، فقد تكون الأحداث المعروفة المدونة عرضة للنقد من فئات أخرى ، وقد تكون تعبيرا عن رغبات من شاؤوا ان توضع بهذه الصيغة او تلك ، وعلى سبيل المثال ، نعود الى التاريخ المصري القديم لنرى كيف ان التاريخ العام يخطىء في مايسرد من وقائع تمت بصلة الى الفترة السابقة لاخناتون او الفترة اللاحقة له ، المتمثلة بحكم كهنة آمون ، ونهاية حكم الفراعنة الحكماء وبموت الحكيم اخناتون ، وفي هذا النطاق ، نرى من واجبنا ان نميز بين التاريخ العام الذي يسرد روايات ويسجل أحداثا قد تكون خاطئة او مغلوطة ، وبين التاريخ السراني الذي دونت أحداثه فئة أرادت أن تتحدث عن الحقيقة في جوهرها ، وعملت على الاحتفاظ بتلك الحقيقة المرية للقلة التي استطاعت ان تحافظ على مدى الاجيال ، والحق ، ان من لا يتعمق في دراسة التاريخ السراني يصعب عليه فهم الحقيقة المختبئة في عمق الواقع الانساني ، ويعجز في تفسير الاحداث ، الأمر الذي يدعوا الى كتابة التاريخ العام من جديد بعقلانية مكونة ومنفتحة ٠

خامسا - الخلاص من اللاشعور الممتلى باللاوعي الجمعي :

ثمة اختلاف كبير بين التفسير الذي تعتمده المدرسة السلوكية في علم النفس والتفسير الذي تعتمده المدرسة التأليفية في علم النفس ٠ ولما كنا نقف الى جانب وجهة النظر التأليفية فإننا نفسر اللاشعور واللاوعي تفسيرا يتناسب مع تكامل الوظائف النفسية ، بحيث أن الانسان او المجتمع لا ينقسم في كيانه وشخصيته ٠

ولما كانت المدرسة التحليلية ، التجزيئية تسعى الى ابقاء الانسان الفرد في عالم لاشعوره ، او لا وعيه المظلم ، فقد عمدت إلى ملء هذا اللاشعور واللاوعي بكل خطيئة او نقص ، او خلل ، او تعقيد ، او دافع ما وحتى مشوش ، او عقيدة ثابتة ، وذلك لكي يظل الانسان والمجتمع ايضا ، قابعا في الظلام المستبد دون ان ينتقل الى نور وعي خلاق ومبدع ، وهكذا ، يخضع الفرد لسلطة الافكار السيئة او الخاطئة التي أدخلت في صميم تركيبه العقلي والنفسي ، ولا يعود قادرا على الخلاص منها ٠

دأبت هذه المدرسة جاهدة لإبقاء المجتمع الانساني ، كل مجتمع انساني ، في ظلام لاوعيه ، وبهذه الطريقة ، يسهل التحكم بهذا المجتمع ، وابقاؤه في وضع متخلف تفرضه التعقيدات النفسية التي تلازمه دون ان يكون قادرا على الخلاص منها والانعتاق من قيودها ، ولا شك ان إبقاء المجتمع الانساني ، في هذه الظلمة النفسية أمر يحيله الى مجتمع مستسلم ، مذعن ، ضعيف ، قدري ، سلفي ، يعيش في ظلمة لاوعيه الماضية - الحاضرة، ويعجز عن " تعديل " الاخطاء او ملء الفجوات بحكمة وتعقل ٠

هكذا ندرك أهمية مدرسة علم النفس التأليفي التي تعمل على رفع الانسان الفرد او الجماعة الى نور الوعي ، وهكذا ، ندرك الضرر الذي تحدثه مدرسة علم النفس التجزيئي التي تبذل قصارى جهدها لابقاء الفرد والجماعة في حالة راكدة في ظلام الوعي او اللاوعي ، ولا نبالغ اذا قلنا ان الفكر اليهودي او الصهيوني ، عمل

وما زال يعمل ، على تلقيح المجتمعات بالآراء التي تبقيه في ظلام اللاوعي ٠ واننا نجانب الصواب ونحن نعلن ان الاتجاهات الفكرية التي اقتبست من اليهودية ، او ارتبطت بها عقائديا تتبنى هذا الموقف الذي يسير بها باتجاه ظلمة الوعي او اللاوعي ٠

نتساءل : متى يصبح الوعي ، وهو اللاوعي ، وهو وعي كامن ، واللاشعور ، وهو شعور كامن ، لا وعيا مظلما اولا شعورا مظلما ؟

نجيب : يتمكن اللاوعي المظلم في شخصية الفرد او الجماعة عندما تتراكم الاخطاء في الوعي او اللاوعي ، وعندما يعجز الفرد او الجماعة عن معالجة هذه الاخطاء المتراكمة ٠

نتساءل : هل يكون الفرد او الجماعة قادرا او قادرة على التحرر من اخطاء اللاوعي المتراكمة ؟

نجيب : يستطيع الفرد او الجماعة الخلاص من ظلام اللاوعي بـ " التعديل " الدائم عن طريق العقل المكون ، والعقل المنفتح ، والتقليل من أهمية التاريخ العام وعدم العيش في الماضي ، والانعتاق من الافكار التي تشده او تشده الى لاوعي يمتلىء بالانفعالات المظلمة ٠

سادسا - تنشيط الطاقة :

تعتمد النظرية التطورية التي أتى بها العالم - الحكيم سيارده شاردان على مبدأ تنشيط الطاقة او دفع الطاقة الى الفعل ، وفي رأيه ، ان الطاقة هي باطن الاشياء ، وهي القدرة التي تنتقل من حال الى حال أفضل في عملية التحول بفعل حرية داخلية ٠

نستعيد من نظرية شاردان معرفة تؤكد وجود ظاهر للأشياء وباطن لها وتجعلنا مثل هذه المعرفة نعترف ان وجود الظاهر ، وهو غلاف للباطن ، وبالأحرى انطواء له وقيد ، قدر يحتم على المادة المتجسدة في كتلة الخلاص من انتشائها ضمن غلاف بفعل حرية ضمينة ملازمة لها ، ولذا كان على الطاقة ان تنشط ذاتها في مسيرتها التطورية لتحقق مستويات اعلى من الموجودات والكيانات ، وعلى هذا الاساس ، نفهم الطاقة المنشط لعملية التطور والارتقاء ٠

عندما ننتقل الى الوضع الانساني نجد ان القضية ذاتها تتكرر على نحو مختلف : الطاقة ما زالت تفعل بنشاط يحرض على الدوام ، داخليا وخارجيا ، لكي يبلغ الكائن البشري درجات أعلى في سلم الوعي ، ويتمثل هذا الوعي في الحرية الابداعية الفاعلة من أجل تجاوز الاشراطات والقيود والغلافات المتجسدة في منطقه ، وهكذا ، يحقق الكائن البشري شمول أو كوني وجودي ، ويتحد بوعيه وحريته مع الكل ٠

تشير هذه المقدمة الوجيرة كمفهوم تنشيط الطاقة لتكون قدرة فاعلة الى ان مسألة التنشيط تنسحب أيضا على المجتمع البشري ، والحق ان المجتمع لا يرتقي به التطور ، انه هو أحرق طاقته في أمور لا تتصل بالحياة ، او بالغاية المرجوة من الوجود ٠ عدم تنشيط الطاقة حري بأن يبقي المجتمع البشري في وضع قدري يحتم استسلامه لمقاومة سلبية تحافظ على عطالتها تماما كما تثبت العمودية في الزمان والمكان ٠٠ وعندئذ ، يفقد المجتمع البشري قدرته الديناميكية والحركية ، ويسقط عجزه على أسباب لا تمت الى وجوده او الى الوجود الكلي بصلة ٠

يتمثل تنشيط الطاقة او فاعلية الطاقة بداب متواصل للخلاص من غلافات واشراطات المجتمع القديم ، وهكذا ، تقف فاعلية الطاقة مقابل عطالة القدرية ، يحيث تكون هذه الفاعلية حرية تهدف الى المزيد من الوعي والشمول ، وان اختزل هذه الفاعلية الى مفهوم قدري قضية تعني

بقاء الطاقة ساكنة لا تحقق ديناميكية حركتها ووجودها الذاتي ، والحق ان تنشيط الطاقة مفهوم يشير الى ديناميكية داخلية لا تستمد ، كما تستمد الميكانيكية ، حركتها من خارجها ، وعلى غير ذلك ، تتطلع القدرية الى حركة تأتيها من محرك خارجي ، وهكذا اعتملت فاعلية المجتمع في ديناميكيته الكامنة في طاقة قادرة على تنشيط ذاتها من خلال حركة ذاتية داخلية ٠

سابعا - فلسفة الحضارة :

يتركز مفهوم الحضارة في الطاقة البشرية الفاعلة في التنشيط الدائم والمثابر للقدرة العقلية والنفسية ، ولئن كانت الحضارة تعتمد في واقعها على معطيات من ماء ومناخ وارض زراعية خصبة، لكن العنصر البشري " المتحدي " ، وفق ما يقول أرنولدغوينبي ، هو العنصر الفاعل في مضمار التقدم والازدهار ، والحق ان العنصر البشري يشتمل على ماهو أبعد من المقومات المادية، إنه يشتمل على العقل المكون ، والعقل المنفتح ، والفاعلية الناشطة ، وبالفعل ، تنحسر الحضارة في الوقت الذي ينحسر العنصر البشري والفاعلية المنشطة على غير ما يقول علماء الاقتصاد، يكون التخلف بأنواعه ، نتيجة لما يصيب العنصر البشري من " تخلف " عقلي ، ونفسي ناتج عن عطالة الطاقة ، وعلى هذا الاساس ، لا يتميز العقل السلفي ، او العقل المكون ، وفق أخطاء التاريخ الماضي ، بحضارة وثقافة ٠

عندما يبلغ المجتمع درجة عليا في سلم الحضارة والثقافة ، يتوطد وجوده على ركائز حقيقية ثابتة يصعب تدميرها والقضاء عليها ، وكما يقول غابريل تاور : ينهزم الشعب الغازي امام حضارة الشعب المغلوب ، ولا يستطيع الشعب القاهر المتخلف في مضمار الحضارة والغارق في انفعال تذكيره او الشعب المحتل ،مهما بلغت قوته وسيطرته ، ان يهيمن على الشعب الحضاري الذي تعرضت أرضه للاحتلال هذا ، لأن الشعب الغازي المتخلف يعمد الى اقتباس الحضارة التي يتميز بها الشعب الذي فقد جزءا من إقليمه ، وكما تنص نظرية التقليد ، تنتقل الحضارة من الشعب المتطور بعقله وإنسانيته الى الشعب المتخلف بحضارته وانسانيته ٠

ثامنا - الثقافة والدولة :

لما كانت الدولة الصورة المثلى للمجتمع ، فإنها تحتوي في ذاتها جميع الفاعليات والامكانات وتأتي هذه الفاعليات تنشيط ذاتها في ظل الفردية او الفئوية ، وفي هذا الوضع ، يعجز المجتمع عن تمثيل ذاته في دولة او حضور ثقافته في إطار جامع شامل ، وعلاوة على ذلك ، يعجز المجتمع عن تشكيل دولة في ظل تاريخ لم يعبر عن وجود مفهوم الدولة ، وهو النطاق الذي يتحول فيه العمل الفردي الى عمل اجتماعي ، اذن ، فالفرد او المجمع الذي لا يرسم لذاته صورا ثقافية وحضارية ضمن إطار الدولة ، هو مجتمع ينتمي الى تقاليد وأعراف وطقوس تنأى به عن حقل الثقافة والحضارة ٠

في الدولة تنصهر الفردية ، وينحل التاريخ الذي يحمل في ثناياه عقيدة خاصة ، لا تعبر ، من قريب او بعيد عن حضارة دولة ٠ في الدولة تبلغ شخصية المجتمع أرقى مراتب كمالها ٠ في الدولة تسجل فاعليات الافراد ، أعمالهم ، مآثرهم، ابداعاتهم ، قدراتهم ومثلهم ، ومن الدولة يستمد الافراد وجودهم الاجتماعي ، والانساني ، والفكري والتربوي ، والنفسي ، والحضاري والثقافي ، وفي الدولة تبلغ " الروح " او " المثال " ذروة اتحاد أو تكامل فاعلياتها ٠

إذ نتأمل مفهوم الدولة نجد ان المجتمع الذي يعاني من الفردية المشبعة بمفهوم تاريخي

لكنَّ بي ظمأ الحنين

شعر: دولة عباس

هنا في " الدريكيش " الطبيعة ساحرة لا حرها حر ولا هي ماطره
الطل يسكب في الصباح أريجه والغيم ينشر في المساء ضفائره
و" عرائس الكرم " الندية غابة خضراء في قلب السفوح الزاهره
والليل فيها مهرجان المنتهى أعراسه في كل قلب ساهره
والبدر يومىء بالضياء كعاشق في درب كل صبية أو عابره
والنبع رقراق يهدهد لحنه طربا لخضراء الظلال الحائره
والناس حول النبع في مرح وفي جدل الحكايا ٠٠ النادره
حيث انتقلت ترى المواسم تنثني وتنام في حضن النسائم سافره
•

***

وأنا هنا حس يذوب خميلة بروائها ٠٠ أصبحت أرهف شاعره
في بيتي المجدول من أرج الضحى أشدو أنا ، ومع الجمال مسافره
أرنو الى البدر المسهد بالجوى ومع النجوم أظل ليلي ساهره
"والشعر" يندى بالعبير على يدي يقتاتني ٠٠ ويذيب روحي السادره

***

لكن بي ظمأ الحنين ولهفة ٠٠ للقاك يا " شام " الجمال الساحره
يا من دخلت القلب ٠٠ في أوجاعه وفتحت دربا للجروح ٠٠ الناضره
يا شام في العينين أنت وفي الرؤى يا قبلة الفجر الضحوك العاطره
إن كنت قد سافرت عنك وشفني أرق ٠٠ فإني كنت فيك مسافره

***

الثقافة تلتقي

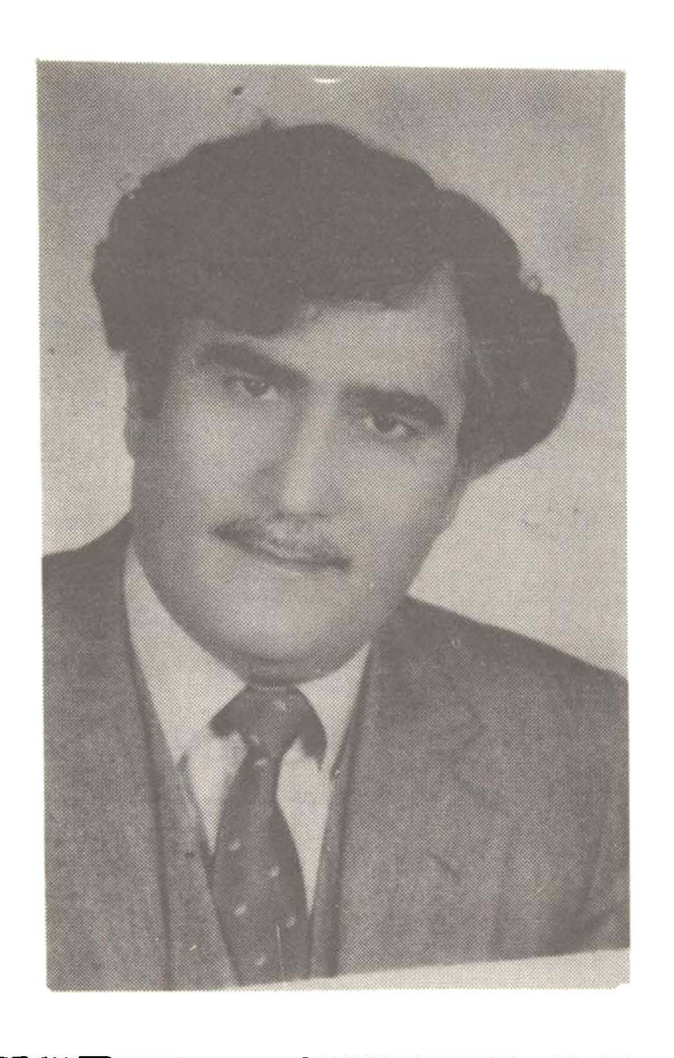
الروائي الكبير الأستاذ عبد الكريم ناصيف

رئيس تحرير مجلة المعرفة

في

حوار خاص عن المرأة

حوار: وداد قبّاني



عبد الكريم ناصيف ، روائي سوري معروف له روايات عديدة منها :

الحلقة المفرغة

البحث عن نجم القطب

العشق والثورة

ثلاثية : المد والجزر (١) والانكسار (٢) والجزء الثالث لم يصدر بعد

المخطوفون ٠٠

تميزت رواياته وأعماله الكثيرة بالعمق النفسي للشخصيات واجادته التأريخ لمراحل معينة من تاريخ المنطقة ٠

له أعمال تلفزيونية كالذئاب وبرج العدالة ٠٠ وشعاع الامل وزهرة الزيزفون ٠

س ١ : الاستاذ الكريم عبد الكريم ناصيف ، أنت معروف كروائي متمكن وباحث ومترجم وشاعر ، ورئيس تحرير لمجلة المعرفة السورية ٠٠ فهل لك أن تقدم نفسك للقارىء بطريقتك ؟

ج ١ : مواليد ١٩٣٩ ٠ ليسانس في اللغة الانكليزية وآدابها ، رئيس تحرير مجلة المعرفة ، تسع روايات ، دراسة سياسية بجزئين ، ثلاثون كتابا ترجمة او مراجعة عن اللغتين الانكليزية والفرنسية. العديد من الاعمال الدرامية للمسرح والتلفاز ٠ الكثير من القصائد الشعرية بعضها رأى النور وبعضها لم يره بعد ٠ وأحلام كبيرة لا تفتأ تتجدد تجدد الليل والنهار ٠

س ٢ : المرأة العربية تبدو ضائعة تطمح الى ان تكون شيئا والى أن تقدم شيئا ، لكن بين الطموح والواقع تبقى فجوة ٠٠ وهذه الفجوة واسعة بالنسبة للمرأة فكيف تقيم جسرا بين طرفيها يربط بين طموحها وواقها ؟

ج ٢ : الرجل نفسه ضائع ، فكيف لا تكون المرأة كذلك ٠٠ انها سمة المرحلة الانتقالية ونحن نعيش هذه المرحلة أفرادا وجماعات ، أفكار تتغير ، مفاهيم تنقلب ، عادات تبيد ، تقاليد تتحطم ، ليظهر البديل الجديد الذي يتناسب مع العصر الجديد ٠٠ كنا نعيش عصر الاستعمار والتبعية ، الانحطاط والجهل ، الفقر والتخلف ، واليوم تغير كل شيء ، او في طريقه الى التغير ٠٠ انقلاب كامل في ظروفنا الاجتماعية والسياسية حدث وهذا ينعكس أول ما ينعكس على الانسان ، امرأة كان او رجلا ، فردا أو مجتمعا ، يريد أن يتكيف مع الظروف الجديدة ، يرى المتغيرات من حوله ، أحيانا تلامسه ملامسة واحيانا تتغلغل الى أعماقه ٠٠ أحيانا خفيفة وأحيانا جارفة ، لكنها متغيرات وتحولات هو هدفها وغايتها ٠٠لهذا يأتي حين من الزمن يبدو فيه الانسان كالضائع فلا هو قادر على سلخ جلده السابق ولا هو قادر على صنع جلده اللاحق وريثما يتحقق له ذلك ، ريثما يخلق آلية التكيف الجديدة لا من أن يبحث ويلوب ، لا بد من ان يعاني ويشقى لكنه واجد طريقه لا محالة ، وهذا ينطبق على المرأة بقدر ما ينطبق على الرجل، وان كان ضياع المرأة في مرحلتنا الانتقالية هذه يبدو اشد نظرا لأن انتقالها أكثر مسافة وأشد سرعة وأكثر جذرية ، فالحرملك الذي تتركه الان كان يحجب عن عينيها حتى النور ٠٠ فالعالم كله من حولها جدران وأسوار واذا ما انفتح ذات مرة كان حجبا وأستارا حتى رؤيتها للعالم كانت مشوهة ، بصرها كليل ونظرها حسير والوجود كله بالنسبة اليها رجل يأمر وما عليها الا ان تطيع ٠ رياح التغيير الاجتماعي تمر بها الان فتؤجج طموحها لأن تكسر القيود ، تحطم الأسوار وتغادر ذلك الحرملك الكريه بكل مافيه من ذل وعبودية وخنوع ، لكن الواقع ما يزال يشدها ، فالتغير الاجتماعي لا يكون طفرة أبدا ، بل هو تغير تدريجي أحيانا يكون منظورا وأحيانا غير منظور ولهذا تبدو الفجوة ، فالعبد يكون عادة متعطشا للحرية يريد الافلات من القيد بأسرع ما يستطيع يريد ازالة كل أثر له بأسرع ما يستطيع، وهكذا المرأة الان ، تريد التخلص من حرملك الماضي بأسرع ما تستطيع ، طموحها كبير لكن الواقع أكبر ، ما يزال أقوى ، الا أنني متفائل بالنسبة للمرأة فقد شقت طريقها وانتهى الامر ، طموحها سيتحقق بكل تأكيد ، المسالة مسألة زمن، فالتغير الاجتماعي كلي شامل ولن يبقى شيء على حاله بعد حين ٠٠ لكن يمكنها ان تسرع عمليه التغير ولا شك، بإمكانها ان تحرق المراحل ان كانت أكثر تصميما ، أعظم نضالا ، أقوى شكيمة وما مات حق قط وراءه مطالب ، فعلى المرأة أن تكافح من أجل حقها في الحرية والحياة وعليها ان تقاتل وتضحي لتقيم ذلك الجسر وتردم تلك الفجوة بين طموحها وواقعها الى الابد ٠ وامضى أسلحتها العزيمة والصبر ٠

س ٣ : باعتقادك هل يجب ان تكون المرأة مساوية للرجل في كل الامور بلا استثناء ام لك آراء معينة حول الموضوع ؟

ج ٣ : هذا السؤال يثير غيظي كلما وجهه أحد إلي ، بل أكاد أحيانا لا أملك نفسي من ان أغضب وأنفعل بسببه ٠٠ فبعض المتزمتين من الطرفين ، أنصار المساواة وأعدائها ، يمسكون به من تلابيبه هل المساواة بين الرجل والمرأة يمكن ان تكون كاملة مطلقة ؟ وبالطبع كلا الطرفين يجد الحجج والذرائع التي تثبت موقفه وتؤيده ، العلم يقول : ليس هناك مطلق ٠٠ كل شيء نسبي وقد أثبت العلم الحديث ذلك ٠٠ قاعدة ومبدأ لا يرقى اليهما الشك ٠٠ اذن لم لا تكون المساواة بين الرجل والمرأة نسبية أيضا ؟ لم نريدها مطلقة لااستثناء فيها ولا انحراف ٠٠ ؟ ذلك مخالف للعلم ومخالف أيضا للواقع والحقيقة ٠٠ المساواة بين الرجل والمرأة يجب ان تكون مساواة كاملة لا نقصان فيها في كل ما يتعلق بالحقوق والواجبات أمام القانون فكلاهما مواطن ، وكلاهما بالنسبة الى الوطن كائن انساني يترتب عليه واجبات وله حقوق ازاء الوطن والمجتمع ، هذه هي القاعدة اما الاستثناء ، فلا بد ان يكون هناك عدم مساواة في كل ما يتعلق بالفوارق بين الجنسين ، وفي كل ما يتعلق بالفوارق الفردية ، اذ لا يعقل ان يطلب المجتمع من المرأة الحامل ان تنزل الى منجم فحم وتعمل على عمق ألفين وثلاثة الاف من الامتار ، شانها شأن الرجال ٠ كما لا يطلب من الرجل ان يعمل في رعاية الاطفال وحضانتهم شأنه شان المرأة ٠

هناك فروق بين الرجل والمرأة اوجدتها الطبيعة ولا بد من أخذ تلك الفروق بعين الاعتبار كل منهما اكتسب نتيجة ذلك صفات تميزه عن الاخر تميزا لا سبيل الى نكرانه ، بل من الغباء نكرانه ، عبر التاريخ وقبل ان تتشكل المجتمعات وتقام الانظمة الاجتماعية والسياسية كانت هناك فوارق واختلافات بسبب تلك الفوارق والاختلافات تشكلت الادوار وتوزعت الاعمال ٠٠ وكان الرجل في المراحل البدائية للحياة الانسانية على هذه الارض يخرج للصيد والقنص ، يطارد الارانب والغزلان ، يلاحق الطيور ، يصيد الاسماك ، يبتعد ويغيب عن كوخه ساعات وربما أياما الى ان يعود بما ياكله أطفاله وزوجته ، فيما تبقى المرأة حول كوخها ترعى الأطفال وتجني مما تجده حولها من نباتات وثمار ، دون ان ينقص ذلك من قيمتها ، فالمجتمعات البشرية في تلك المرحلة وما بعد عرفت النظام الامومي حين كانت المرأة هي رأس الهرم وهي عماد الاسرة وهي الآمرة الناهية ، اذ لا يمكننا القول اخيرا :بالمساواة من حق المرأة بالتأكيد لكن ليست تلك المساواة المطلقة، بل النسبية التي تفرضها الطبيعة بكل ما صنعته من فوارق واختلافات ، أي : مساواة في ماهو عام ولا مساواة في ماهو خاص ، مساواة كقاعدة واختلاف كاستثناء ، وذلك في رأيي قد يكون لصالح المرأة مثلما هو لصالح الرجل ، فللمرأة ايضا ميزات حرم منها الرجل ٠

س ٤ : يقول أحد الفلاسفة ان تحرر اي مجتمع يقاس بمدى تحرر المرأة فيه وتوسيع حريات النساء هو المبدأ العام لكل تقدم اجتماعي فكلما نالت المرأة المزيد من حقوقها السياسية والاقتصادية والاجتماعية كلما قطع المجتمع شوطا في طريق تحرره وتقدمه ٠٠ ما رأيك بهذه المقولة وكيف ينظر الروائي الكبير عبد الكريم ناصيف الى هذه المقولة ؟

ج ٤ : لا شك ان تحرر أي مجتمع يقاس بمدى تحرر المرأة وذلك لسبب بسيط هو ان المرأة نصف المجتمع فإذا كان نصف المجتمع عاطلا مكبلا بالقيود عاجزا عن العمل كان نصفه الثاني عاجزا هو الاخر وكان كالجسم المشلول الذي أصاب الفالج نصفه الأيمن ، فانتهى معه نصفه الايسر ، ولكي يبعث هذا الجسم الى الحياة من جديد لا

بد من ازالة اسباب الفالج تماما واعادة الحياة والحركة الى النصف الاول لكي تعود الحياة الى النصف الثاني فالجسم كل واحد لا يعيش نصف بغير نصفه ، وهكذا المجتمع لا يكون حرا برجاله وعبدا بنسائه ، لا يتقدم بجزء ويظل متأخرا بجزئه الآخر ، انه الكل الواحد الذي يتقدم معا ويتأخر معا ٠ هو كل لا ينفصم ، علما او جهلا ، حضارة او تخلفا ، ازدهارا أو انحطاطا ، والمجتمع الذي يريد لنفسه الحياة والنماء هو المجتمع الذي يطلق الحرية لكل طاقة فيه سواء كانت ذكرا ام أنثى ، فهي كلها طاقات محسوبة على المجتمع واية خسارة لاحداها هي خسارة للمجتمع ، لكن لا بد لي هنامن الاشارة الى نقطة هي في غاية الاهمية ، بالنسبة لتحرر المرأة ، فالبعض وخاصة ذوات النظر القصير من النساء ، يرين التحرر فقط في ان تخرج المرأة من بيتها وتدخل ، ان تستطيع الذهاب حيثما تشاء ، ترتاد المطاعم والمسابح والمنتزهات ، ولا شيء آخر ، وكأنما التحرر هو مجرد حق الحركة والانتقال ، وللحقيقة في التاريخ ان هذا الحق تمارسه المرأة بل وظلت تمارسه حتى في أحلك عصور الظلام والانحطاط ، أقصد هنا المرأة التي تمت للشرائح المنتجة من مجتمعنا، فالمرأة في الريف تسير جنبا الى جنب مع الرجل ، تعمل معه ، تكد معه ، بل تقوم أحيانا بأعمال لا يستطيع هو نفسه القيام بها ، وتقوم بذلك بكل حرية ودون قيود البتة ، كذلك البدوية في البادية تعيش حريتها كاملة ، تخرج الى البادية ، تأتي بالماء ، تحطب الحطب ، تمارس الحلب والصر ، سافرة الوجه لا تعرف حجابا او قيدا ،إذن ،حيث الشرائح المنتجة من مجتمعنا نجد المرأة تعمل ، تخرج ، تدخل متحررة ، خالصة لا يحدها حد ، وعلى هذا الصعيد ، وحدها ابنة المدينة كانت قد فرضت ظروف الاستعمار والتبعية والتخلف الحجب عليها والقيود ، ولا شك ان التخلص منها الان أمر أساسي وفي غاية الاهمية ، لكن الاكثر أساسية وأهمية هو التخلص من القوانين والنظم الجائرة التي تحتم دونية المرأة وتفرض انكفاءها والتي تعاني منها المرأة ككل سواء كانت ابنة ريف أم مدينة ، في الحضر او البادية ، وحبذا لو تركز المرأة اهتمامها في نضالها التحرري اليوم على تلك القوانين والنظم فهي علة العلل وهي العائق الحقيقي الذي يحول بين المرأة وبين تبوئها المركز الذي ينبغي ان تتبوأه في المجتمع ، اي بعبارة أخيرة ، لا تحرر للمرأة الا بتحرر القانون من كل ما شابه في المراحل المظلمة من التاريخ من كل تفرقة او تمييز او رجعية وأنا كروائي ، انطلق دائما من تعاملي مع المرأة من هذا المنطلق وأود دائما أن اركز عليه ، بحيث يكون هم المرأة لدي اللب وليس القشور ٠٠ لأنها تعلم ان بلاءها الحقيقي والجور الذي لحق بها ولا يزال يلحق بها حتى اليوم انما هو ناجم عن القوانين والنظم التي وضعها الرجل لصالحه لكي تخدمه باعتباره هو نفسه صانعها ، والقوانين كما تعلمين تخدم مصالح الطبقة التي تضعها ، اذن ، لا بد من تغير تلك القوانين ، لا بد من ابدالها بما يلائم التطور والحضارة وبما يعيد للمرأة كامل انسانيتها بعد ان تشيأت طويلا وعوملت معاملة الدون والاقل قيمة ايضا زمنا طويلا ٠

س ٥ : قال شوبنهور : المرأة لا تصلح الا لحفظ النسل وتدوير الساعة وغسل الصحون ، وقال نيتشه : لقد خلق الرجل للحرب والقتال أما المرأة فانه ليس لها من شيء سوى الحب والطفل ٠ وتبعا ذلك فان سعادة الرجل هي: أنا أريد وسعادة المرأة هي : هو يريد ٠ وقال جان جاك روسو ان الرجل فطر بالطبيعة للحياة الخارجية بينما المرأة مكانها داخل الاسرة والمفروض في تربيتها ان تتعهدها بالرعاية لكي تكون السند المعنوي للرجل وخادمته دون ان يكون له ارادة خاصة بها ٠

ان هذه الاقوال وكثير على شاكلتها تقوم على أساس التميز بين الرجل والمرأة ، مارأيك بهذه الاقوال والى أي حد تنطبق على واقع المرأة العربية ؟ وهل هناك جناح أمل يمكن للمرأة ان تغير به مسار الواقع ؟

ج ٥ : المرء ابن عصره يعيش أفكاره ويتمثل مفاهيمه ولا يسعه الخروج من أطره الا بقدر ما يستطيع الخروج من جلده ، وما شوبنهاور ونيتشه وجان جاك روسو الا ناس عاشوا عصروهم وعبروا عنها ضمن شروطها الموضوعية ، لكن العصور تتبدل والمجتمعات تتغير كما أسلفنا من قبل ، وما يصلح لهذا العصر والمجتمع قد لا يصلح البتة لذلك العصر والمجتمع ، نحن في أواخر القرن العشرين عصر الذرة والفضاء ، العصر الذي أنجز فيه الانسان خلال سنوات معدودات ربما أكثر مما أنجزه في تاريخه كله ٠٠ العصر الذي باتت فيه المرأة صنو الرجل ، نده ، رفيقته ، له مالها وعليه ماعليها ٠٠ انه عصر المساواة ٠٠ الحرية ، تكافؤ الفرص ، عصر الديمقراطية وحقوق الانسان فمن يستطيع الرجوع القهقرى ؟ من يستطيع اعادة عقارب الساعة الى الوراء ؟ التاريخ يتقدم بخطا حثيثة الى الامام والمرأة تشارك الرجل اليوم في صنع هذا التاريخ ، في دفعه الى الامام ، وقد أثبتت انها قادرة على المشاركة بجدارة ، ألم تكن ماري كوري أول من أكتشف الاورانيوم والذرة ؟ أليس هناك في سجل الاختراعات أسماء نساء ونساء في سجل الادب ، أليس هناك شاعرات وكاتبات ؟ المرأة نصف المجتمع والرجل نصفه الاخر وهما نصفان متكاملان متلازمان تلازما عضويا لا حياة لواحدهما بغير الاخر ، كل ماينعم به الاول ينعم به الثاني وكل ما يشقي الاول يشقى به الثاني وما محاولة الفصم والتقسيم والتمييز الا مؤامرة على الجنس البشري سجل -نتيجتها- تقهقر عام انعكس على هذا الجنس تأخرا وانحطاطا ، فازدهار الكل الواحد انما يتم بمشاركة كامل أعضائه وعلى الرجل قبل المرأة ان يؤمن بهذا وان يعمل له وإلا ظلت المرأة عبئا عليه وثقلا بدلا من ان تكون عونا ومساعدة ، وظل المجتمع أعرجا كسيحا بدلا من ان يكون كله نشاطا وحيوية ، لكن ينبغي ألا ننسى أبدا ان المساواة هي مساواة في الحقوق والواجبات امام القانون وليست مساواة في الادوار ، فالاختلاف الذي صنعته الطبيعة ايضا اختلافا في الدور ، وليس في ذلك أي ضير على المساواة فتوزع الادوار بما يتناسب مع طبيعة كل من الرجل والمرأة هو ولا شك لصالح المرأة والرجل ولصالح المرأة ككل والا كنا كمن يضع السيف موضع الندى ويضع الندى موضع السيف وفي هذا الجور كل الجور ٠٠ فغاية العدالة دائما هي ان يوضع الانسان المناسب في المكان المناسب ولا شك أن المجتمع الحضاري المتقدم قادر تماما ان يعرف ما يناسب المرأة وما يناسب الرجل وان يوزع بينهما الأدوار بحيث يحفظ التوازن والتكامل الاجتماعي على أفضل نحو ٠

س ٦ : ينظم قانون الاحوال الشخصية مجموعة من الانظمة والقوانين تحدد وضع المرأة في الاسرة وعلاقتها بالرجل مثل تقييد حريتها في طلب الطلاق وحرية الرجل في الزواج بأكثر من واحدة ، هل تعتقد ان هذه القوانين بحاجة الى تعديل ؟

ج ٦ : أظنني أجبت عن هذا السؤال في ماسبق من قول وانا لا أحب ان اكرر ماقلت ، فقط اريد ان اؤكد على المرأة ان تجعل محور نضالها تغيير تلك القوانين والنظم التي تجعلها في مرتبة دنيا في المجتمع وتحول بينها وبين المساواة ، فالقانون الصحيح هو الذي لا ينظر بعينين بل بعين واحدة ولا يكيل بمكيالين بل بمكيال واحد لكل من يمثل أمامه من المواطنين دونما تفريق بين ذكر وانثى ، او أبيض واسود ٠

س٧: تقول احدى النساء : ان دونية المرأة منقوشة في اللغة ، فالطاقة والابداع والخلق مرادفة للرجولة ، والنبل فضيلة مذكرة في المقام الاول ، وحين تكون امرأة موهوبة جدا يكال لها المديح والثناء بتشبيهها بالرجل ، هل توافق على هذا الكلام ؟ وماذا تعني لك كلمة امرأة بالمعنى المطلق؟

ج ٧ : المسألة دائما هي مسألة الزاوية التي ينظر منها الانسان الى الشيء ، المنطلق الذي ينطلق منه في التقسيم والمقياس الذي يقيس به فدونية المرأة نقشت في اللغة ، وهذا صحيح ، للأسف ، حين كان المنطلق الاساس للتقييم هي القوة العضلية ، القوة الجسدية المجردة ، فالمرأة وطبقا لما صنعتها عليه الطبيعة ، أضعف بنية من الرجل أوهن عضلات ، أقصر قامة ، الخ ٠٠ إذن لا بد من ان تحتل المرتبة الثانية بالنسبة الى الرجل ، ومع احتلالها هذه المرتبة سخرت اللغة لتكريسها كما وضعت النظم والقوانين بالعادات والتقاليد ، للحفاظ عليها والدفاع عنها ، لكن مع تغير العصر وتغير المنطلق والمقياس ما تراه يبقى من هذه الدونية ؟ اليوم لم تعد القوة الجسدية هي المنطلق والمقياس بل بات ثمة شيء آخر ، ربما هو قوة العقل ، قوة المعرفة ، قوة العلم ، فالانسان الان يقاس بما يملك من عقل ومعرفة ، من علم ووعي، القوة الجسدية انكفأت أميالا كثيرة الى الوراء ، لم يعد الانسان بحاجة الى عضلات هائلة ليحمل السيف ويقاتل ساعات وساعات ، حسبه الان ان يمسك بالبندقية ويضغط على الزناد لينطلق الرصاص زخا من المطر ، ضغط الزناد لا يحتاج الى قوة عضلية ، طفل صغير يمكن ان يفعل ذلك ٠ ٠ إذن العلم والتطور العلمي حل محل القوة العضلية وحقق الكثير من المساواة بين الرجل والمرأة فهذه يمكنها ان تسوق قطارا يزن مئات الاطنان بضغط أزرار ، ان تقود طائرة في السماء، تحرث الارض بالجرار ، تفعل كل ما يفعل الرجل ، بعد ان انتفت القوة العضلية كشرط أساسي للعمل ، هذه النقلة تؤكد ان التغيرات الاقتصادية وتغيرات وسائل الانتاج ستعيد للمرأة حقها في الحياة وحقها في المساواة وستلغي كل ما خلفه الماضي من رواسب دونية ، لان المنطلق الجديد للتقييم يتيح لها ان تقف على قدم المساواة مع الرجل في معظم المجالات وهذا وحده كفيل بأن يعيد للمرأة اعتبارها ومكانتها اللذين فقدتهما في الماضي وليعيد للمرأة من جديد صورتها المشرقة ينبوعا للخلق والعطاء ، رمزا للوفاء والحب والجمال وأي صورة أجمل من هذه الصورة ؟ أي رمز أعظم من هذا الرمز ، فحسب المرأة انها صانعة الحياة وأم الحياة ٠٠

تشكر مجلة الثقافة الاستاذ الكبير عبد الكريم ناصيف لتفضله بالاجابة ٠

حوار وداد قباني

المُغتَربُون

ولسان حالهم يقول

شعر: جابر خيربك

مشوقون والذكرى ندىً وطيوب
إذا حملتها للغريب جنوب
مشوقون ما أحلى الربوع وأهلها
وما أجمل الأيام حين تؤوب
فليس رفيق العين غير دموعها
تطوف على أجفانها وتغيب
وليس خليل القلب غير حنينه
ففي كل فجر لهفة ووجيب
حملنا الدموع الحمر بين جفوننا
ثقالا وأرضِ العالمين نجوب
تركنا الربوع الحانيات ولفنّا
شقاء - على بعد المزار - عجيب
وسرنا على الأشواك يقتلنا الظما
تضيق بأحلام النفوس دروب
تشدُّ الفتى إنْ عضه الدهر رغبة
وهمٌّ ملحٌّ والأبيّ دؤوب
تطوحنا الاسفار شرقا ومغربا
وكم دفعتنا للرحيل خطوب
طوتنا الأماني في خضم خطوبها
لعل الاماني المتعبات تطيب

تزيت لنا الدنيا بحسن لباسها
وأغوت كما تغوي الحبيب عَروب
وباتتْ تردُّ الشال عن حسن وجهها
فلاح سراب خادع ومريب
وعاودنا الشوق المبرِّح والأسى
وبان على الوجه الصبوح قطوب
تمرُّ علينا الذكريات ثقيلة
تفتت من أكبادنا وتذيب
ملاعب أحلام الطفولة والهوى
إذا راجعتها الروح شبَّ لهيب
وإن الأماسي الناعمات إذا أتت
على الفكر ضجت في الصدور قلوب
سقانا البعاد المر كأسا مريرة
وليس لنا في الطيبات نصيب
نكافح من اجل الحياة وليلتنا
نعود ولو غطى الشباب مشيب
تولّى ربيع العمر في البعد والنوى
وغارت بأعماق الفؤاد نيوب
فنسمة عطر من ربوع تحبها
نعيمٌ وظلٌ في الهجير رطيب
وبسمة ثغرٍ صادقِ الود من أخٍ
جِنانٌ وروضٌ ساحرٌ وقشيب
فليس نعيم العمر بعداً عن الحمى
فكل نعيم في البعاد كذوب

تذكـــر إخـــوان وطلة والـــدٍ
وأمٍ رؤومٍ أنـــة ونحيـــب
ويبقـى الفتـى يشكو برغم ثرائـــه
يحـــنّ الى خِـــلانـــه ويلـــوب
تمزقـــه الـذكرى وأطيـــاف داره
لهـا في حشـاه قـرحـةٌ ونـدوب
فأي ثراء يغمر العيـش نعمـةً
اذا لم يفـدْ منـه أخٌ وحبيـب
وأي حيـاة تملأ العمـرَ فرحـةً
اذا غـاب عنهـا صـاحـب وقـريـب

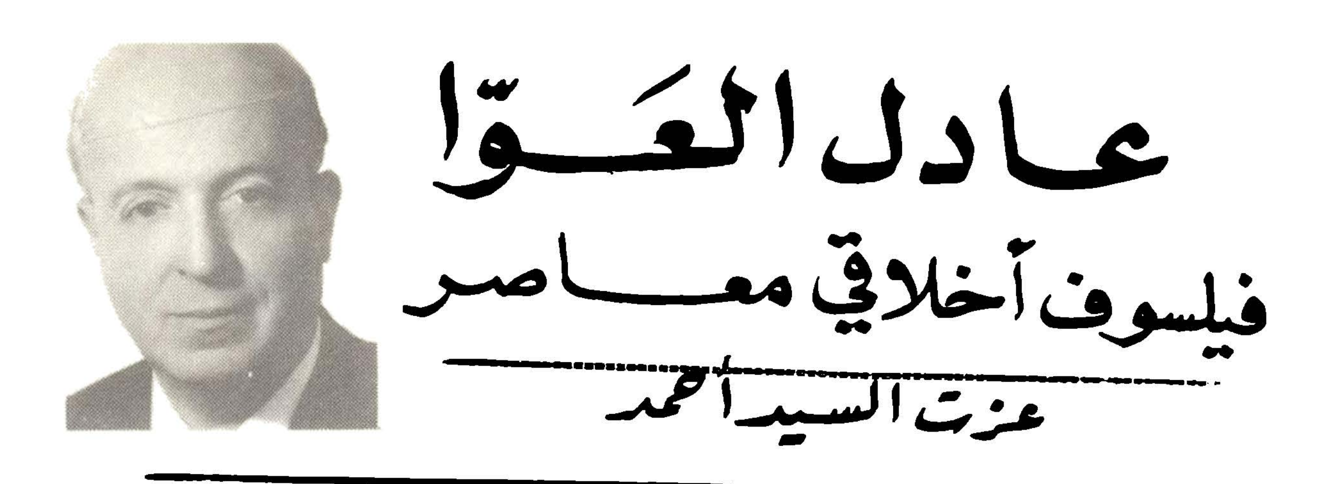
فللـه ما يلقى الغريـب عن الحمـى
وللـه مـا قـاسـى البعـاد غـريـب
فكل ليـاليـه أسـىً وتذكـرٌ
وكـل صبـاح عتمـةٌ وغــروب
فلا العيـش يحلـو والأحبـة غُيّـبٌ
عـن العيـن والـدمع الغزيـر صبيب
ولا القلـب يسلو والفراق أخفُـه
رهيـبٌ وليـل المستهـام رهيـب
نذوب مع الأحداث يقتلنا الأســى
إذا الـوطـن الغـالي دهتـه خطـوب
فإن حملـتْ هوج الريـاح نـوائبـا
إلينـــا ونـالـت مـن ثـراه شعـوب
وإن مرَّ في مغنـاه غـدر وفتنـــة
ولاحـــتْ عليـــه صفـرة وشحـوب
فدينـاه من ماء القلـوب تحسـراً
شبـابٌ تنـادت للفـداء وشيـب

ندافع عنه بالدموع فإنها
سلاح النوى يرتاح فيه كئيب
فيا وطنا ما زلت في الصدر ساكنا
تطوف على أحنائنا وتجوب
ونحمله بين الضلوع وإنه
على كل ما تخفي القلوب رقيب
يطل اذا الأحلام أغرتْ جفوننا
ففي كل جفن همسة ودبيب
إذا الليل وافانا تنزتْ عيوننا
دماءً . وحبات القلوب تذوب
ونشرق بالدمع الغزير تخوفاً
اذا روعته فتنة وحروب
تضيق بنا الدنيا وتنزف مهجة
عليه ويعيا بالدواء طبيب

فكل جراح الجسم تشفى من الاذى
وتبرأ إنْ عالجتها وتطيب
وينشف جرح المرء بعد ضماده
ولكنّ جرح العاشقين عصيب
نلملم همس الليل من كل نسمة
اذا رافقتها من رباه طيوب
فنشتم منها العطر عطر مروجه
بها المسك فواحَ الطيوب خَلوب
ويطربنا طيف الأحبة والشذا
وفي البعد همس الذكريات طروب

****

فيا ساكنين الدارَ ظلوا على النوى
قريبين منا والمحبُّ قريب
ويا أهلنا في كل ربع تذكروا
بأن التنائي لوعةً وغروب
تظلون زاداً للقلوب ورحمة
ولو باعدتنا أبحرٌ وسهوب
نحاول أن ننسى ونخفي همومنا
وهيهات ان ينسى النسيب نسيب
ونسرف في الذكرى لينضب نبعها
وليس لنبع الذكريات نضوب
فلا تظلموا النائين عنكم فإنهم
حزانى وبستان السرور جديب
رمتنا وراء الأفق أحلامنا التي
تراءت وساقتنا اليه ذنوب
فلن تغني عن نعمى التواصل ثروة
وعزٌّ ولو فاضتْ يدٌ وجيوب
وتبقى حياة المرء ما بين أهله
هي العزُّ أما غيرها فهروب
وكيف تقرُّ العين بعد حرائر
فهل تغني عن ذات الخصال لُعوب
تضيّق باحزان الغياب مشاعرٌ
ويعجز عنها شاعر وأديب



عادل العَوّا

فيلسوف أخلاقي معاصر

عزت السيد أحمد

هو صديق الصدق ، نديم الحق ، خدن المروءة والوفاء ، صنو الكياسة والنقاء ، قليل جدا من المثقفين أولئك الذين لا يعرفونه ، فهو كعبة فضل مرتفعة المقام ، سرى ذكره كما سرت من الرياض الأنسام ، فروضة مآثره يانعة الزهر ، ومحاسنه مخلدة في صحائف الدهر ، وهو بالرزانة والاتزان قبلة على خد الزمان ، وروضة تتفتح فيها الأماني ، والحق أن هذا قليل في حق من لايدرك وصفه الاغراق ولا تمل التحديق إليه الأحداق ٠

قد يعتقد من لا يعرف أستاذنا الكبير عادل العوا انني ابالغ في وصفه ، والحق اني لا أستطيع أن انكر اني لم أستطع إلا أن اضفي لبوسا من مشاعري ، وميولي أليه على وصفه ، لبالغ حبي له ، ولكن لا بد أن أبين أن هذا الوصف نابع أيضا من وثيق وعمق صلتي به، ومن روح الموضوعية التي تعلمناها على يديه على حقيقتها ، ولولا أني واجد ما وجدت في نفوس زملائي وأستاتذتي وكل من عرفت ممن تتلمذ على أستاذنا عادل العوا ، لقلت في نفسي إني أراه بعين الود والرضا، ويكفي لتوكيد ذلك أن تعلم أن كل من عرف الدكتور عادل العوا حق المعرفة ، لا يجرؤ بينه وبين ذاته أن يلفظ اسمه مجردا من لقب استاذ أو دكتور ، إجلالا واحتراما لا خوفا ورهبة ٠

هكذا عرفت أستاذنا الكبير القدير عادل العوا، بل هكذا عرفه كل من تتلمذ على يديه ، والذين تتلمذوا عليه غير قلة ، فإليه يرجع كبير الفضل في تأسيس قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية في جامعة دمشق كما أنه من الرعيل الاول الذي قامت على أكتافه وجهوده الدراسات الأدبية والفلسفية في جامعة دمشق ، ولذلك لن تجد واحدا من خريجي المعهد العالي للتربية ثم كلية الاداب ٠ منذ منتصف الأربعينات وحتى أوائل السبعينات ، لا يعرف الاستاذ الكبير عادل العوا ، ولا يحدثك عنه بلهفة وشوق كمن يتحدث عن محبوب يحار في وصف مآثره ومحاسنه ٠٠ أما طلابه المتخصصون في الفلسفة فلا شك انهم يعرفونه اكثر ، ولا شك انهم يحبونه اكثر ٠

مكانته وأهميته :

يكفي أستاذنا فخر أنه كان من الرعيل الأول الذي وضع حجر أساس الدراسات الأدبية والفلسفية في الجامعة السورية ، وقد أسهم أستاذنا في ذلك بنصيب وافر ، ولا سيما في تأسيس الدراسات الفلسفية والاجتماعية ، وقد تخرجت على يديه أجيال جد كثيرة من المثقفين العرب عموما والسوريين خصوصا ، ومن هذه الاجيال الكثير الكثير من المفكرين والباحثين الكبار الذين يشغلون مكانا أساسيا من الساحة الفكرية المعاصرة، ومن هذه الاجيال أيضا كان الاساتذة الجامعيون من أكثر من جيل ، ولذلك لا يمكن لأحد أن يتنكر لمكانته العلية السامية ، ولأهمية الدور الذي لعبه الدكتور عادل العوا وزملاؤه أبناء جيله في بناء أجيال المفكرين والباحثين المتتالية ، التي تشغل كامل الساحة الفكرية الراهنة ٠

والحق أن أهمية الدكتور عادل العوا على هذا الصعيد تكمن في إدراكه وإصراره على أهمية الاتصال والحوار في نقل المعارف ، لأن الحوار وحده هو الكفيل بترسيخ المعرفة وتقويمها وقيادتها الوجهة الاكثر صوابا ، وبالحوار يعرف الغث من الثمين ٠ وبالحوار تثار المواهب وتنشط القرائح ، ولايمانه بهذه الحقيقة فقد أفرد لها فصلا طويلا في كتابه " مقدمات الفلسفة " مبينا فيه أسلوب التفكير واسلوب التعلم والتعليم ٠

على أن مكانة أستاذنا وأهميته لا تنبع من هذا الجانب وحده ، فلا أحد يماري البتة في مكانة الدكتور عادل العوا العلمية على صعيد الوطن العربي الوافر وأهمية ما قدمه للفكر العربي ولا سيما على صعيد الفلسفة الاخلاقية تأليفا وتعريبا ، فقد زين بمآثره الفلسفية الأخلاقية ، وملك بنقد ذهنه جواهرها السنية حتى غدا مرجعا يصعب الاستغناء عنه لأي باحث في الفكر الأخلاقي والقيمي ٠ فلقد رفد المكتبة العربية منذ أوائل الخمسينات وحتى الآن ، باكثر من ستين كتابا تناولت

اكثر من صعيد فكري ، ونستطيع القول الى حد بعيد انها شملت مباحث الفلسفة الآخلاقية والقيمية بمختلف وتباين جوانبها وابعادها ، ولا اظن أن باحثا واحدا في الوطن العربي على الاقل ، قدم ما قدمه الدكتور عادل العوا على هذا الصعيد تاليفا وتعريبا ، ولذلك غدا تراثه الفكري الكبير هذا مونلا ثرا يمتح الباحثون من معينه ، ومرجعا لا يمكن التنكر لعظيم أهميته ، كما لا يمكن الاستغناء عنه ٠

شخصيته :

كثيرا ما تساءلت عندما كنت طالبا في السنة الاولى - فلسفة - ولم اكن حديث العهد بالجامعة - وقد كان يدرسنا حينها - ما سر سحر هذا الاستاذ ؟ وباي سلطان استحوذ على قلوب الطلاب ؟ بل كثيرا ما كنت أجد نفسي مندفعا للحديث عن هذا الاستاذ أمام اصدقائي وأهلي حتى طلب الكثيرون أن يحضروا محاضراته ويتعرفوا عليه ، وما حضر واحد من اصدقائي محاضراته الا وقال لي : معك حق أن تطفق في ذكره " والحق أني وشاني في ذلك شان غيري - كلما اقتربت منه أكثر أزداد احترامي وتقديري له ، وازداد اعجابي به، ذلك أن لشخصيته سمات - وأن وجدت عند غيره - إلا أنها عنده ذات طابع خاص متميز ، هذا التميز هو الذي يجعله ينفذ الى شغاف القلوب بكل بساطة وسرعة

تواضعه الجم قل من ينازعه فيه وندر، ولا عجب ان ابدا بالتواضع فهو أول واهم سمة يتسم بها الكبار قدرا ومعرفة ، ولذلك قال الشاعر :

ملأى السنابل تنحني بتواضع
والفارغات رؤوسهن شوامخ

وهذا سبب من أسباب كثيرة شدتنا إليه لأن من يتواضع يعلو بين الناس ، كالبدر يلوح للناظر على صفحات الماء وهو رفيع ، وقد تزين الى جانب جميل التواضع بجليل الهدوء وسحر الاتزان ، وعذوبة النطق وبراعة البيان ، يفرض احترامه على الجميع باحترامه للجميع ، فهو يحترم الكبير والصغير ، ورحب الصدر يستوعب الجميع على تباين أمزجتهم واختلاف ثقافاتهم ، ويحادث الجميع بلباقة ولطف آسرين حقا ، معطيا كل واحد حقه ٠ مخاطبا إياه بمستواه ، فيرتقي بارتقاء المخاطبة ويتواضع أمام الطالب او المخاطب الغر ، معليا شانه وشاحذا همته ليشعر من امامه بأنه صديق حقيقي ، صديق بكل ما تحمل الكلمة من معنى ، ودلائل ذلك جد كثيرة يعرفها كل طلابه ، فما ذكر اسم طالب أمام الطلبة أو الاساتذة الا مقرونا بتبجيل لطيف كالسيد او الاستاذ ٠٠ ولا قاطع متحدثا اليه ايا كانت صفته حتى يستوفي كلامه ، ولا قطع حديثه مع صغير لتدخل كبير الا اعتذر من أستاذ ليستكمل حديثه مع طالب او العكس ٠

وله أسلوب رائع بارع في إظهار صاحب الخطأ على خطأه ، حيث ينهج الاسلوب السقراطي في توليد الافكار ، فيجعل المخطيء يقف على خطأه ويدركه وكانه هو الذي توصل اليه ، انه يستقبل الخطأ برحابة صدره وجليل هدوئه ، دون أي انفعال قد يربك الطالب او المخاطب ، او يشعره بالحرج ، ثم لا يلبث ان يحاوره في ذلك وابتسامته الشفيفة العذبة لا تفارق شفتيه ، حتى يوصل المخاطب الى الصواب ويشعره بانه يعرف الحق والصواب ، وما أخطأ جهلا وانما زلة لسان ٠

وخلاصة القول في ذلك : انه لم يعن بالمباحث الآخلاقية فكرا وتنظيرا وحسب ، بل لقد تجسد المعاني الآخلاقية تجسدا كاملا حتى لا نكاد نجد فاصلا أو فارقا بين النظر والعمل ، بين الفكر والواقع ، لدى أستاذنا عادل العوا الذي تتطابق فيه الأقوال مع الأفعال ، او المبدع مع ابداعه ، وليفترق بذلك عن غالبية المفكرين خاصة ، والناس عامة ، الذين يقولون ما لايفعلون ، ويامرون بما لا ياتون به ،لياتي من بعد من يقول :" خذوا بالاقوال ولا تأخذوا بالافعال " هذه المقولة المضللة التي تعمق الشرخ بين الفكر والممارسة ، بين النظر والتطبيق ولتسوغ بالتالي التقاطب بينهما ، وهذا خطأ وخطر ينبغي الحذر منه ٠

ثقافته :

ان الاستاذ العوا شانه شان الكبار من ابناء جيله الذين أرسو دعائم الحركة الفكرية والثقافية المعاصرة في هذه المنطقة من الوطن العربي خصوصا - سورية - ذو معرفة موسوعية شاملة ، وينبؤ عن سعة الاطلاع هذه لا تراثه الفكري الكبير الذي قدمه لنا وحسب ، بل أسلوبه في تناول ومعالجة أي مسالة يبحثها سواء في التاليف أو المحاضرة أو الحوار ٠٠ حيث يعرج على صلاتها وعلاقاتها مع مختلف ضروب المعرفة ، مدعما كلامه بالشواهد المناسبة من كل صعيد معرفي ٠

وتتجلى هذه الثقافة الموسوعية الشاملة اكثر ما تتجلى ويظهر أثرها الواضح ، في الحوار الممتع مع الاستاذ العوا حيث ينقلك ببراعة المتبصر الخبير من فكرة الى فكرة ومن مبحث الى مبحث ، ومن علم الى علم ، شرحا واستفاضة في تبيان الفكرة موضوع الحوار او السؤال ، دون أن تسمح لك نفسك بادنى شرود عن ممتع كلامه ، أو يشعرك بالملل أو الرتابة المنفرة من الخوض في دقائق تفاصيل المباحث العلمية ، كل ذلك وانت تنظر اليه بعين الدهشة والاعجاب ، بل وليس في

وسعك الا أن تفعل ذلك وأنت تنهل من هذا المعين الثر، وتستمرؤ كل ما تنهل ، وتستمتع به لأنك تستوعبه ، وتقف على أبعاده ببساطة شديدة قل أن يقدمها لك غيره ، لأنه ينقلها اليك مبسطة واضحة ، بعيدة عن أي ضرب من ضروب التعقيد او الغموض ٠

فلسفته :

صحيح أنه لم يقم مذهبا فلسفيا كاملا بما تحمل هذه الكلمة من دلالة ومعنى ،إلا اننا لا نستطيع أن ننكر الجهود التي بذلها لاقامة علم مستقل للأخلاق ، كامل متكامل ، فهل نجح في ذلك أم لا ؟

الحق ان للاجابة عن هذا السؤال تستحق دراسة تخص هذا الغرض لأن الاجابة أيا كانت لا بد أن تكون مدعمة بكامل ما قدمه لنا الاستاذ العوا ، وهذا ليس باليسير انجازه ، ولن تكفيه صفحات قليلة البتة ، ولذلك سنقف عند بعض النقاط التي نراها أساسية وهامة على هذا الطريق ، آملين أن تتاح لنا العودة الى هذا التراث الفني الكبير ، كما وكيفا ، الذي قدمه الاستاذ العوا للاجابة عن هذا السؤال بمزيد من التفصيل ٠

أولا : ان أول ما تجدر الاشارة اليه في تآليف الاستاذ عادل العوا هو تلك الروح الموضوعية الحقيقية التي تبدو جلية في كتاباته ، والأمانة في نقل أفكار وآراء المدارس والاتجاهات الفلسفية المختلفة ، دونما تعصب لرأي أو اتجاه ، وهذه صفة قل أن نجدها لدى كثير من الباحثين الذين يجنحون بدوافع شعورية او لاشعورية الى قراءة أفكار الاخرين بما يتفق وميولهم وأهواءهم ، وقل وندر ما تكون مثل هذه القراءة صحيحة ، وبقدر تعصب الباحث لاتجاهه الفلسفي يكون فهمه للاخرين ابعد عن الحق والصواب ٠

ثانيا : لم يعن الاستاذ العوا بمختلف قضايا الفكر تاليفا ، وفي معظم ترجماته - وان كانت تشغل حيزا واسعا من ثقافته - لأنه صرف كامل جهده وعنايته للمسالة الآخلاقية ، وكل ما يتصل بها أو يتشعب عنها ، آملا في إرساء دعائم فلسفة أخلاقية كاملة متكاملة ، او في إقامة علم اخلاقي مستقل ، ولكن غير منفصل عن الفلسفة ، لذا يرى استاذنا ان الاخلاق من المباحث الفلسفية الاصيلة ٠ ومهما تطورت وتعاظمت وتكاملت ، فإنها ستظل في حضن الفلسفة الرؤوم ، ولذلك فهو ينتقد اولئك الذين يدعون الى إقامة علم للأخلاق مستقل عن الفلسفة على غرار علم النفس وعلم الاجتماع ٠٠ مثل (ليفي بريل) الذي دعا الى تاسيس علم جديد هو " علم العادات الاخلاقية " " ٠

ان ما يريده استاذنا ليس علما مستقلا للأخلاق على غرار العلوم التي نالت استقلالها عن الفلسفة ، وإنما علم ، أو لنلقل نظرية متكاملة للأخلاق ، تتناولها جملة وتفصيلا ، بكل صلاتها وتفرعاتها ، وأساليب تناولها ومعالجتها ٠

ثالثا : ان ما قدمه الاستاذ العوا على هذا الصعيد جهد يستحق عليه جزيل الشكر ، ولا سيما ان احدا في الوطن العربي على الاقل ، لم يقدم مثله او أقل منه قليلا ، ومن تقليب صفحات هذه المؤلفات نستطيع أن نقول بصورة أولية إنه قدم لنا نظرية كاملة في الاخلاق عالجت مختلف وتباين المعاني الاخلاقية والنشاط الاخلاقي وطرائق معالجة معاني ومظاهر النشاط الاخلاقي ودلالاتها وصلاتها المختلفة ، مسبغا عليها من روحه وفكره لبوسا مؤنقا ومؤتلقا ، غير مكتف بعرض آراء وأفكار الفلاسفة على اختلاف انتماءاتهم الزمانية والمكانية والفكرية ٠

رابعا : لقد حاول أستاذنا من خلال ما قدمه ان يقارب بين النظر والعمل ، ويمحو الفارق الزائف المصطنع بينهما ، وليزيل بالتالي التقاطب الماثل بين الاخلاق النظرية والاخلاق العملية لأن الاخلاق هي السلوك او الفاعلية الواقعية للأفراد ، والفلسفة الاخلاقية تهدف الى دراسة هذا السلوك او الفاعلية البشرية كشفا عن العلل والمبادىء ، ولذلك نستطيع ان نسمي النظرية الاخلاقية التي قدمها الاستاذ العوا بنظرية التجربة الأخلاقية ، او الأخلاق الشخصية كما يحلو له أن يسميها في كتابه " القيمة الاخلاقية " هذه النظرية التي تشرئب الى تنظيم التجربة البشرية تنظيما متآلفا ومنسجما مع غائية شاملة ٠

ولذلك انتقد أستاذنا الآراء التي تعمق الشرخ بين الاخلاق النظرية والاخلاق العملية ٠ وتعمق الهوة بين الاخلاق والواقع المعاش للانسان ، فيقول مثلا :

" رامت المذاهب الأخلاقية المدرسية الكبرى ، كمذاهب (افلاطون) و (ارسطو) و (كانت) ، أن تمثل الاخلاق السرمدية الخالدة ، أكثر من تمثيلها اخلاق زمان معين ، أو بيئة معينة ، وان هذا التطلع الى الكلية ليتجلى على أكمل وجه في صيغ الآمر القطعي لدى (كانت) ٠ فيظهر الاستاذ في هذا المذهب وقد سلخ عن الظروف والملابسات ، وانتزع من الوسط والزمان ، حتى بات بمثابة ضرب من التجريد المختزل يمكنه من الخضوع بيسر الى قاسم لا شخصي مشترك " القيمة الاخلاقية -١٥-١٦) ٠

محطات في حياته :

ولد بدمشق عام ١٩٢١ ودرس في المدارس الحكومية وحصل عى شهادة البكالوريا السورية فلسفة

عام ١٩٣٨
سافر في خريف ١٩٣٨ الى فرنسة ودرس في كلية الاداب بجامعة باريس (السوربون) وحصل على درجة الاجازة ثم الدكتوراه من جامعة باريس (آداب - فلسفة) حزيران ١٩٤٥ ٠

عاد الى سورية في شهر آب ١٩٤٥ وبدأ حياته العملية بالتدريس في المدارس الثانوية وفي دار المعلمين

بدمشق حتى افتتحت كلية الاداب والمعهد العالي للمعلمين في جامعة دمشق سنة ١٩٤٦ فسمي فيها أستاذا وكلف بإدارة المعهد العالي للمعلمين في الجامعة حتى ١٩٤٩ ٠ إذ سمي أستاذا في كلية الاداب ورأس قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية منذ ذلك الحين الى الان ٠ عام

راس الى جانب عمله الجامعي لجنة التربية والتعليم في وزارة التربية بدمشق حتى عام ٢٦-١٢-١٩٥٥

أصبح وكيلا لكلية الاداب خلال سنتين ثم عميدا لهذه الكلية منذ عا ١٩٦٥حتى عام ١٩٧٣

شارك في مؤتمرات ودورات علمية عديدة منها :اليونسكو (بيروت ١٩٤٩ وباريس ١٩٥١ ولدراسة فلسفة تربوية متجددة لعالم عربي متجدد (الجامعة الاميركية بيروت ١٩٥٦) وللمستشرقين (ميونيخ ١٩٥٧) وللفلسفة كراتشي ١٩٦١) (ولتطوير التعليم العالي والجامعي دمشق ١٩٧١) وللعلوم الاجتماعية الجزائر ١٩٧١ وغيرها من الحلقات الدراسية الفلسفية والاجتماعية ٠

أسهم في أعمال اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية وهو عضو في المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب والعلوم الاجتماعية ،ومقرر لجنة الترجمة والتبادل الثقافي عن القطر العربي السوري ٠

عضو مجمع اللغة العربية بدمشق

حاضر ودرس في الجامعات الاردنية واللبنانية والجزائرية وفي جامعة (هلسكني) بوصفه استاذا زائرا كما حاضر في جامعتي الكويت واليرموك ٠

آثاره المطبوعة :

ذكرنا أن للأستاذ العوا اكثر من ستين كتابا مطبوعا ما بين تأليف وتعريب ، هذا فيما خلا المحاضرات والمقالات الكثيرة المنشورة في المجلات والموسعات والندوات ، مثل الموسوعة الفلسفية العربية ومحاضرات وزارة الثقافة ومجلة الثقافة وغيرها من المجلات ٠ أما مؤلفاته فهي :

١- الفكر الانتقادي لجماعة اخوان الصفا (بالفرنسية) بيروت ١٩٤٨ - المطبعة الكاثوليكية ٠
٢- منتخبات اسماعيلية تنشر لأول مرة (تحقيق ومقدمة) جامعة دمشق ١٩٥٨
٣- المذاهب الأخلاقية (جزءان) جامعة دمشق ١٩٥٨-١٩٥٩
٤- القيمة الأخلاقية - جامعة دمشق ١٩٦٠
٥- الوجدان - جامعة دمشق ١٩٦١ ٠
٦- التجربة الأخلاقية (جزءان) - جامعة دمشق ١٩٦٠
٧- معالم الكرامة في الفكر العربي - دمشق - مطبعة الأمل ١٩٦٩
٨- من الشرف الى الكرامة - دمشق - مطبعة الأمل ١٩٧٢ ٠
٩- الأخلاق - جامعة دمق ١٩٧٥
١٠- الانسان ذلك المعلوم - بيروت - باريس - عويدات ١٩٧٧
١١- علم الأديان وبنية الفكر الاسلامي (بالاشتراك) بيروت - باريس - عويدات ١٩٧٧
١٢- أسس الأخلاق الاقتصادية - جامعة دمشق - ١٩٨١
١٣- المدخل الى الفلسفة (بالاشتراك) جامعة دمشق ١٩٨٢
١٤- دراسات أخلاقية - جامعة دمشق ١٩٨٣
١٥- العمدة في فلسفة القيم - دار طلاس - دمشق ١٩٨٦
١٦- المعتزلة والفكر الحر - دار الأهالي - دمشق ١٩٨٧
١٧- المذاهب الفلسفية - جامعة دمشق - ١٩٨٧
١٨- مقدمات الفلسفة - جامعة دمشق ١٩٨٧
١٩- بحوث أخلاقية - جامعة دمشق ١٩٨٨
٢٠- الفلسفة الاخلاقية - جامعة دمشق ١٩٨٨
٢١- الاخلاق والحضارة - جامعة دمشق ١٩٨٩
٢٢- اخلاق التهكم - دار الحصاد - دمشق ١٩٨٩
٢٣- مذاهب السعادة - دار الفاضل - دمشق ١٩٩١
٢٤- تحديث الاسرة والزواج - دار الفاضل - دمشق ١٩٩١
٢٥- المزاج الحضاري في الفكر العربي - دار شمالي دمشق ١٩٩٢

ثانيا - المترجمات

١- المدنية سرابها ويقينها - جورج باستيد - جامعة دمشق ١٩٥٧
٢- بنية الفكر الديني في الاسلام (مع مقدمة) المستشرق جب - جامعة دمشق ١٩٥٧
٣- فلسفة القيم - ريمون روية - جامعة دمشق ١٩٦٠
٤- الفكر والتاريخ - بيير - هنري سيموه - المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب - دمشق ١٩٦٢
٥- مدرسة الامهات (مع مقدمة) ايتين جيلسون -

الشركة العربية للصحافة والطباعة والنشر دمشق ١٩٦٥
٦- الفن والأخلاق - شارل لالو - الشركة العربية للصحافة والطباعة والنشر - دمشق - ١٩٦٥
٧- الفن والحياة الاجتماعية - شارل لالو - دار الانوار - بيروت ١٩٦٦
٨- العقل والمعايير (مع مقدمة)- اندره لالاند - جامعة دمشق ١٩٦٦
٩- عالم القيم - ريمون روية - جامعة دمشق ١٩٦٩
١٠- الفكر العلمي الجديد - غاستون باشلار - وزارة الثقافة - دمشق ١٩٦٩
١١- جورج لوكاتش - هنري آرفون - وزارة الثقافة دمشق ١٩٧٠
١٢- السيبرنتيك واصل الاعلام - ريمون روية - وزارة الثقافة - دمشق ١٩٧١
١٣- السعادة والحضارة - جان كزنوف - مطبعة جامعة دمشق ١٩٧٩
١٤- نهج الفلسفة - كارل يسبرز - دار الفكر - دمشق ١٩٧٥
١٥- القيمة والحرية - يوسف كوميز - دار الفكر - دمشق ١٩٧٥
١٦- عظمة الفلسفة - كارل يسبرز - عويدات - بيروت ١٩٧٥
١٧- فلاسفة انسانيون - كارل يسبرز - عويدات - بيروت ١٩٧٥
١٨- الفلسفة والتقنيات - جان ماري أوزياس - عويدات بيروت ١٩٧٥
١٩- عسر الحضارة - سيجموند فرويد - وزارة الثقافة - دمشق ١٩٧٥
٢٠- الاتجاهات الرئيسية للبحث في العلوم الاجتماعية والانسانية (بالاشتراك) - اليونسكو - وزارة التعليم العالي - دمشق ١٩٧٦
٢١- فلسفة العمل - هنري آرفون - عويدات - بيروت ١٩٧٧
٢٢- حوار الحضارات - روجيه غارودي - بيروت - باريس ١٩٧٨
٢٣- معنى المدنية - ف ٠ شواي وزملاؤها - وزارة الثقافة دمشق ١٩٧٨
٢٤- الفكر الفرنسي المعاصر - ادوار مورو سير - عويدات - بيروت باريس ١٩٧٨
٢٥- نقد المجتمع المعاصر - ريمون روية - عويدات - بيروت - باريس ١٩٧٨
٢٦- نقد الايديولوجيات المعاصرة - ريمون روية - عويدات بيروت - باريس ١٩٧٨
٢٧- الممارسة الايديولوجية - ريمون روية - عويدات بيروت باريس ١٩٧٨
٢٨- الاخلاق والحياة الاقتصادية - فرانسوا سليه - عويدات بيروت - باريس ١٩٨٠
٢٩- المعقولية في العلم الحديث - ريمون بلانشه - وزارة الثقافة - دمشق ١٩٨١
٣٠- الفكر العربي - محمد آركون - ط٢ الجزائر ١٩٨٢
٣١- الثقافة الفردية وثقافة الجمهور - لومين دوللر -ط٢ عويدات - بيروت - باريس ١٩٨٢
٣٢- كيركيجارو - بيارمنار - عويدات - بيروت باريس ١٩٨٢
٣٣- القيمة بول سيزاري - عويدات - بيروت باريس ١٩٨٣
٣٤- اضواء عربية على أوربا في القرون الوسطى - نخبة من الاساتذة - عويدات - بيروت - باريس ١٩٨٣
٣٥- الانتحار والاخلاق - ليون مينار - دار دمشق - دمشق ١٩٨٧
٣٦- المواقف الاخلاقية - روجيه ميل - عويدات - بيروت - باريس ١٩٨٧
٣٧- الاخلاق والسياسة - ريمون بولدن - دار طلاس دمشق ١٩٨٨
٣٨- دعائم علم الاجتماع - جان كزنوف - دار طلاس دمشق ١٩٨٩
٣٩- الحرية - روز ماري موسيه باستيور - دار طلاس - دمشق ١٩٩٠

واخيرا :

ان ما ذكرنا عن فلسفة الاستاذ عادل العوا انما هو غيض من فيض ، ففيما قدمه لنا مادة جد غنية للبحث والدراسة ، وجد ممتعة للقراءة والتأمل ، وجد مفيدة لمن أراد أن يغني عقله ويوسع أفقه ولا سيما في إطار المعاملات ، أو التعامل مع الذات أولا والاخرين ثانيا ومواضيع الحياة ثالثا ، ولأن هذه المعاملات بمستوياتها الثلاثة ملازمة لكل انسان غير منفكة عنه أبدا ، حتى تكاد تشكل نسيج حياته ووجوده ، فقد كرس الاستاذ عادل العوا ، جل كتاباته لاغنائها وتبيانها وكشف عللها ومبادنها ، ليقدمها لقمة سائغة لكل انسان ، بل لكل من أرادها ، ومن أراد الشيء بحث ونقب عنه ٠

وهذه بعض الابيات أرفعها اليه حبا ووفاء :

القلب يهفو الى لقياك يلتهب
قد هزه الوجد من ذكراك والطرب
ترنو إلى دوحة الالهام باصرتي
فكان فخرا إليك الفن ينتسب
احب ذكراك بالأفراح تغمرني
فالسعد يأتي وليل الحزن يحتجب

احب ذكراك للإبداع ملهمة
من سحرها اجمل الايات تنسكب
احب ذكراك منها وحي موهبتي
شعري وفني وما قد تجمع الكتب
اشتاق لقياك والأحلام تسبقني
ففي هواك يطيب السبق والغلب
جلاك طيفك أنواع تعانقه
فليتني من بهاء الطيف أقترب

فانت وحي وروح أنت ملهمة
وانت وحدك للفن العظيم أب
إن كان للوحي ومض فهو منقطع
وانت سحر إليه النور ينجذب
لي في هوى عادل العوا ربوع منى
حدودها السحر والاخلاق والادب

حنين

شعر: حكمت سليمان

وجدي يؤجج مني النار في كبدي
شوقا إليك وأدمت مقلتي بيدي
وحرقة البعد من عيني مشربها
طال البعاد ومالي فيه من جلد
كثيرة العد أيام تفرقنا
لقد كرهت حساب اليوم والعدد
النار تأكل ما تلقاه من يبس
وفي حناياي نار أحرقت جسدي
يا للفراق صعيب عيشه حرج
وللوصل ياغادي عيش طري ندي
ليلى أحبك كل الحب يا حلما
أحيا به الان ، والاهات بعد غدي
أنت السعادة عندي والحياة بها
أنت الرجاء وأنت للهوى سعدي

بَخيل

شعر: عبد الجبار الكيالي

رماه الهوى في قبضة الذات فانبرى
تجول مع الذات الخبيثة رغبته
تطارده الأطماع أنى رأيته
يحوم لجلب القرش والقرش منيته
سعيد إذا ما الربح كان حليفه
حزين إذا ولى ودانت منيّته
وهيمان لا يروي الزمان غليله
وظمآن لا تروى من الكسب غلته
يدين بدين القرش لا شيء دونه
ولا شيء غير الجمع تهوى عقيدته
لئن ذكر الناس الإله لجوده
رأيت لذكر الله ضاقت سريرته
إذا دخل القرش الحبيب جيوبه
تهاوى كئيبا واكفهرت سجيته
تمر الليالي قابعا في حجره
حبيسا يعاني لا ترى النور مقلته
إذا نال يوما من فتاة يحبها
تأسف أن ضاعت مع الوصل عملته

يقتر ظنا في الحياة خلوده
وبالمال كل المال تزداد رفعته

ويبقى رهين القرش يركض خلفه
يعاني ليحيا القرش والقرش كعبته
يعيش وكل الناس تلطم خده
فيطرق لا تقوى على الرد نظرته
فيا ويح من يحيا ذليلا بماله
يموت ولا تقوى على العيش عيشته

خاطرة

مزيد كناني

في ذاكرة الزمن تجول الخطر ، وأحدق بالذين رمدتهم الأرصفة على دروب العناء ، وكتب قصائد حب مروعة غص بها الألم وطاف على شفافية حروفها غمام الغربة في الأزقة المهملة ، بأجنحة مهيضة من مطبات الجراح التي تعرف .. ولا تعرف مواقع المعاناة ..

قصائد حب تمخضت من عشق لا يوصف وبين التناقضات ، والمفارقات التي تدور كناعورة حزينة تئن بلا انقطاع ..

وقف الحاضر فجأة على منصة الألم فرأى أوراقا تطايرت من كتاب عتيق ، وما أن قرأ ورقة منها حتى راح يجمع الاوراق المتطايرة لأنه اكتشف سرا غريبا حير أدمغة الاجداد .

لم تنته أيام الزمن المر بعد ، رغم المفترقات التي جاءت من مجهول محرور وفي صحراء الذهن قوافل تاهت بين امري الخير والشر وتنتظر الفرح حيث سيمطرها ثقة ويقينا بواقع من دوافع التجربة ومخاض الامان الى السلام .

الحكمة الإلهيّة ومبادئها الثلاثة

ديمتري أفيرينوس

(الجزء الثاني)

المبدأ الأساسي الأول :

هاكم مقاطع مستقاة من عدد من مؤلفات السيدة بلافاتسكي ولا سيما من كتابها الاخير مفتاح الثيوصوفيا وهو بمجمله عرض للمبادىء الاساسية للحكمة القديمة على شكل حوار شائق بين سائل وثيوصوفي :

السائل : أما وقدأخبرتني ماليس الله والنفس والانسان إياه في نظركم هل لك ان تعلمي ماهم إياه بحسب تعاليمكم ..

الثيوصوفي : اما وقد اخبرتني ان ثلاثتهم من حيث الاصل والازلية مثلهم كمثل الكون وكل مافيه ، واحد مع الوحدة المطلقة او الجوهر الالهي الذي لايرقى اليه علم ، نحن لا نعتقد بأي خلق ، انما بالظهورات الدورية المتوالية للكون ، من المرتبة الذاتية للوجود حتى المرتبة الموضوعية ، في فواصل زمنية منتظمة تشغل فترات شاسعة من الزمان .

هبنا مصادرتنا ان الله مبدأ كلي الانبثاث ولا نهائي ، يكون للانسان وحده ألا يكون متشربا بـ اللاهوت وبه وفيه ؟ .

نحن ندعو أبانا الذي في السموات ، ذلك الجوهر اللاهوتي الذي نتعرفه فينا وفي قلبنا وفي وعينا الروحي والذي لا يمت بصلة الى التصور المشبه الذي قد نشكله في دماغنا الجسماني او في شطحاته .

ان لاهوتنا ليس في فردوس او في شجرة، في جبل أو في مبنى خاص : إنما هو في كل مكان ، في كل ذرة من ذرات الكون المنظور وغير المنظور ، فوق وحول وفي كل ذرة وكل جزيء مرئيين . إنه القدرة السرية للتطور وللانغلاق ، والكمون المبدع الحاضر والقدير والعليم أيضا .

هاكم الآن المبدأ الاساسي الاول كما ينص عليه كتاب العقيدة السرية :

مبدأ كلي الحضور ، أزلي ، غير محدود ، سرمدي ، يستحيل تذهنه لأنه يتعالى عن ملكة التصور البشري وليس من شأن أي تعبير أو تشبيه بشري إلا أن يقلصه . فهو يتعدى مجال الفكر ومداه .

هنالك إذن حق واحد مطلق سابق على كل موجود متجل ومحدود ، وهذه العلة اللانهائية والأزلية هي الأصل الذي لا اصل له " لكل ما كان ، وما هو كائن ،وما سيكون " . لذا تفضل السيدة بلافاتسكي ان تطلق عليه تسمية " الكينونة " (السنسكريتية " ست ") على الموجود او الكائن .

ويرمز في العقيدة السرية الى هذه الكينونة بطريقتين : فهنالك ، من جهة ، الفراغ المجرد المطلق الذي يعجز اي فكر بشري عن سبره او تكوين أي تصور عنه أو تذهنه مجردا ، وهنالك من جهة أخرى ، الحركة المجردة المطلقة (المحرك الساكن ، بحسب تعبير ارسطو) التي تمثل الوعي الطليق غير المحدود .

وعن هذه الاحدية او الكينونة المطلقة يحدث أول تمايز (يدعى بـ الواحدية ، في العرفان الاسلامي) ينطوي على أول ثنائية ، هي ثنائية الروح والمادة (بورشا و بركريتي في الموروث الهندوسي)اللتين لا يعتبرهما علم الباطن ، على هذا الأساس ، حقيقتين مستقلتين إحداهما عن الأخرى ، بل وجهي المطلق او مظهرية اللذين يشكلان معا كل كيان محدود ، ذاتيا كان أم موضوعيا •

فكما أن " الفكرة ما قبل الكونية " الاولى هي اصل كل وعي فردي كذلك فإن " الجوهر ماقبل الكوني " هو أصل المادة بكل درجات تمايزها •

يتضح مما تقدم أن التعارض الظاهري بين مظهري المطلق المذكورين هو العلة الأولى للكون المتجلي • فلولا الجوهر الكوني من جهة لما كان بوسع الفكرة الكونية أن تتجلى كوعي فردي ، إذ ليس للوعي أن ينبجس لينغلق على ذاته ، كما سنرى ، إلا من خلال وعاء أو قاعدة مادية ضرورية كبؤرة يتركز فيها شعاع من العقل الكلي على مستوى معين من التعقيد • ولولا الفكرة الكونية من جهة أخرى لظل الجوهر الكوني تجريدا خاويا لا يهيء لانبثاق أي وعي •

من الروح ، او الفكرة الكونية ، وعينا ، ومن الجوهر الكوني الأوعية التي ينثني فيها الوعي على ذاته ، مباشرا رحلة تفتحه عبر ممالك الكون كلها ، وصولا الى مرحلة الذات او الوعي المنعكس المدرك لنفسه ، بينما يعبر مبدأ " فوهة " في تجلياته العديدة عن الصلة السرية بين العقل والمادة ، أو المبدأ الفاعل الذي يكهرب كل ذرة في الكون باعثا فيها الحياة •

تأسيسا على ماتقدم يمكننا إيجاز تراتبية فعل التجلي في اربع مراتب وجودية هي الاتية :

١ - الأحدية المطلقة ، بربرهمن الفيدنتا ، أو الحق الأوحد ست •

٢- الواحدية ، أول تعين للمطلق او الكلمة اللاشخصي ، او العلة الاولى •

٣- الروح - المادة مالحياة " روح الكون " ثنائية بورشا - بركريتي ، الكلمة الثاني •

٤- مهمة ، أو النفس الكلية " الجوهر الهيولاني ، كأصل للمادة وأساس لكل العمليات والسيروات الذكية في الطبيعة ، الذي يدعى أحيانا بـ " مها- بودهي " •

أما الانسان ، فهو في قصوره عن تكوين أي مفهوم الا بلغة الظواهر التجريبية ، عاجز ، بما هو كذلك ، عن رفع النقاب الذي يحجب عنه سر الالوهة في بساطته المطلقة ، ووحدها الروح المنعتقة تستطيع أن تدرك ، على نحو ما" طبيعة " المصدر الذي انبثقت عنه وإليه سترجع • وأما العقل (نوس ، أفلاطون) ، سيد مملكة المادة ومحركها ، والنفس الباعث الحياة والمحايث لكل ذرة ، متجليا في الانسان وكامنا في الحجر ، فله مراتب مختلفة من الحول والقدرة •

ما من أمة أو شعب أو قبيلة ، منذ فجر البشرية ، لم ينطو حتى الجانب الظاهر من معتقداته على وجود " علة أولى " من وراء نواميس الطبيعة وخلود الروح ، ولم يستطع اي معتقد او أية فلسفة زائفة أو اية مؤسسة دينية شعائرية القضاء على هذا الشعور المتأصل في الانسان بما يجعلنا نقطع بأنه ملك للبشرية قاطبة•

يعلمنا الموروث الباطني بأن العلة الحقيقية للوجود ككل تبقى مستترة أبدا وعصية على العاقلة البشرية ، وبأن أول تجلياتها هو أكمل تجريد يستطيع الانسان ان يتذهنه • لذا يفترض في هذه التجليات ان تكون بالضرورة علة الكون المادي ، منها تتفرع القدرات الثانوية التي تعبد لها الانسان وأسلس لها قياده بوصفها " الله " او " الالهة " بما يتوافق مع روح كل عصر ، بعد أن أسبغ عليها صورة شخصية ، إذ يستحيل تذهن

شيء لا علة له ، ومحاولة القيام بذلك تبلغ بالفكر أقصى تخومه حتى فراغه التام ، وهذه هي الحال التي يبلغها الفكر أخيرا عندما يحاول أن يقتفي الى الوراء سلسلة العلل والمعلولات ٠

" اللاهوت سعة غير محدودة ولا نهائية " كما تقول حكمة باطنية كثيرا ما تذكرها السيدة بلافاتسكي ، وان الوحدة القصوى المبطنة لكل جزء من الاجزاء المكونة للطبيعة ، من النجم الى ذرة المعدن ، ومن أعلى " دهين تشوهن " ، أو ملاك ، الى أصغر جرثومة - انما هي الناموس الأساسي الأوحد في علم الباطن ، سواء طبق على العالم الروحاني ، أو العالم العقلي ، أو العالم الجسماني ٠

كل مفكر مبدع ، وباحث أصيل في اسرار الطبيعة ، ماديا كان (أي واجدا في المادة ، موعد كل الحياة الأرضية وقوتها ") ام روحانيا (أي مكتشفا في الروح أصل كل طاقة وكل مادة أيضا) ، فهو ثيوصوفي بالضرورة ٠ فإن محبة الحقيقة لذاتها تنطوي ضمنا على محبة الخير ، وهذه المحبة ، في هيمنتها على رغبات النفس كافة، وتطهيرها ، وإيقادها فيها لهب التوق الى القدسي، تسمو بالانسان في مآل الأمر الى معرفة الالوهة والوصال معها ، والتوق الى هذه المعرفة هي جوهر كل فلسفة (محبة للحكمة) حقيقية ٠

ان تصورات الانسان عن الالوهة لتتطور بتطور فكره وتفتحه ٠ على ضوء ذلك ، يصح قولنا ان أنبل المثل التي تلامسها الروح الدينية في تحليقها في عصر من الاعصر قد تبدو باهتة أمام العقل الفلسفي لعصر يليه ، فخارج الاسرار والولوج الى محراب الحقيقة والتجربة الروحية والكونية لابد ان يبقى جناحا الفكر الديني مقرمين للحؤول دون تحليق أعلى ، والمفكرون جميعا - مثاليين وواقعيين وأحرارا - ليسوا آخر الأمر الا ابناء عصرهم وبيئتهم ٠

وعندما يصرح الثيوصوفيون بأن الله ليس موجودا لأنه عدم محض ، لا شيء - اي لا- شيء - فإنهم ليكنون للاهوت اجلالا وخشوعا، من الوجهة الدينية ، أعظم بكثير ممن يشخصون الله جاعلين إياه ذكرا ضخما ، يغضب ويندم ، ويعاقب ويثيب ٠ فالكلمة ، او " العقل الاول " ينبغي اقتفاء أثرها في كل دين حتى أصلها النهائي وماهيتها القصوى ٠ والالوهة المثلثة " العماء ، الله - الكون " ، إنما هي الكل في الكل، لذا يقال إنها ذكر وأنثى ، إيجاب وسلب ، نشر وطي ، نور وظلمة ، وسلسلة اشعاع الصفات كلها أما علة العلل التي لا علة لها، أو " المجهول الاسمى " كما عبر عنها طاغور ذات مرة ، فيجب على الانسان ان يعد لها مقاما ومذبحا في قدس أقداس نفسه ، في القلب منه والسر ، وان تكون روحه هي الوسيط الاوحد بينه وبين الروح الكلية جاعلا من أعماله الصالحة كهنة ، ومن نواياه السيئة قرابين ٠

المبدأ الاساسي الثاني

تشدد العقيدة السرية على أزلية الكون ككل باعتباره ، كما أسلفنا ، مجالا شاسعا لأكوان لا عد لها ، تتجلى وتحتجب بغير انقطاع ٠

فالفرضية الثانية للعقيدة السرية إذن هي الشمولية المطلقة لقانون الدورية ، قانون المد والجزر او الدفق والانحسار الذي نشهده في قطاعات الطبيعة كافة ، وان تناوبا كتناوب الليل والنهار او تناوب الحياة والموت ، او تناوب الصحو والنوم ، لهو واقع مألوف وشامل ، لا يستثنى منه شيء على الاطلاق . الأمر الذي يجعلنا نبصر فيه ناموسا أساسيا من نواميس الكون ٠

وبذلك ينجلي لباصرتنا وبصيرتنا كمال المقايسة بين سيرورة الطبيعة في الكون من جهة وفي الانسان الفرد من جهة أخرى ، فالانسان ، شأنه شأن الكون ، يحيا دورة من دورات حياته

ثم يموت بانتهاء أجلها ، وتتحلل " مركبات " الانسان او " المبادىء " المؤلفة لبنيانه الباطن مع الوقت وتستعمل الطبيعة " موادها " .

إذن هو أضمن هاد لنا في مسعانا الى فهم التعاليم الباطنية من حيث إن قانون ولادة ونمو وموت كل مافي الكون ، من الشموس حتى ديدان الأرض ، قانون واحد ، وهو لا يني يسير بالكون الى المزيد من الكمال مع كل ظهور او تجل جديد ساريا على كل جرم من أجرام الكون ، صغر أم كبر .

وحده الحكيم يستطيع أن يكتنه الكمال المطلق الذي تبلغه الموجودات لدى اختتام فترة عظمى من التجلي الكوني ، او " مهامنفنتارا " ، مستريحة فيها إبان الفترة التالية من الاحتجاب (برالايا) بيد ان هذا الكمال ، وان كان مطلقا فهو مطلق بمعنى نسبي لأنه يجب بدوره ان يفسح المجال للمزيد من الكمال المطلق ، وفقا لمعيار أرقى من التجوهر ، إبان الفترة التالية من النشاط او التجلي - مثلما ان على الزهرة الكاملة ان تذوي مفسحة المجال للثمرة الكاملة .

وان فكرة ان بمستطاع الاشياء ان تنعدم ومع ذلك توجد فكرة أساسية في مبادىء الحكمة، إذ تختبىء تحت هذا التناقض الظاهري بين مدلولي لفظتي الوجود والكينونة حقيقة كونية كبرى ، فمثلما ان الهيدروجين والاوكسجين ينعدمان لدى اجتماعهما لتركيب الماء ، ويبقيان مع ذلك موجودين ، إنما في حالة أرقى من حالة وجودهما الغازي ، كذلك حال الكون عندما يهجع او ينعدم قبل أن يصحو ويعاود الظهور مجددا .

تعلم الحكمة قانونا سرمديا دوريا في الطبيعة ، لا يستثني من سلطانه أي موجود ، على كافة مراتب وجوده ، ويدعى هذا القانون بقانون " كرما " او بقانون السببية الكونية " ولما كان التطور الروحي للانسان الباطن يشكل من علوم الغيب محورها ، فإن السعي الى فهم سيرورة هذا التطور ليتطلب من التواق ان يضع في عين اعتباره :

أ- الحياة الواحدة الشاملة : المستقلة عن المادة ، او عما يدعوه العلم الوضعي " مادة " و فإن الحياة وثيقة الصلة بالناموس الواحد - ناموس كرما - الذي يحكم مراتب الوجود حتى عالم الروح . ويشير هذا الناموس من الوجهة الظاهرية الى " الفعل " او بالحري الى العلة المنطوية على معلولها .

ان هذا الناموس لا يقدر شيئا على أحد او على شيء ، فهو قائم منذ الازل وفيه ويعتبر خير تصور عن الازل ، وبما انه ليس ثم " فعل " يحافيء الازلية ، فالأصح قولنا لا انه " يفعل " بل انه " الفعل " بامتياز . فهو ، على سبيل المثال ، ليس الموجه التي تغرق أحدهم انما الفعل الشخصي لذلك المسكين الذي وضع نفسه عامدا تحت النعل اللاشخصي للقوانين التي تنتظم حركة البحر .

ان الانسان لا يعاقب على " خطاياه " بل يعاقب بها " على حد المفكر الثيوصوفي البوذي كرشتمس همفرز ، وذلك فرديا وجماعيا (كما في حالة أمم بأسرها احيانا) فإننا نحن الذين نولد الأسباب التي تحرض بدورها القوي الموافقة في عالم النجوم التي تنشد الى أولئك المولدين لها وترتد عليهم فكرا وعملا .

وفي محاولة لتقريب عمل ناموس كرما في التجددات الدورية للكون الى فكر المتأمل في أصل الانسان ، والمغزى من وجوده ، يجدر بنا أن نلفت انتباهه الى التطبيقات الباطنية للدورات الكرمانية في الاخلاق الكونية ، لذلك يعرف الفيلسوف الهندي س . رادها كرشنان بناموس كرما بوصفه " قانون انحفاظ الطاقة الاخلاقية " . فهل للتقسيمات الغامضة التي سماها الاغريق

" حلقات " و " دوائر " (يوغا ، وكلبا، في الهندوسية ، و " أدوارا " و " أكوارا " في

العرفان العربي) تطبيقات مباشرة على الحياة البشرية أو صلة بها ؟ إن العلم والفلسفة الظاهرة يقران بوجود أدوار خاصة تنتظم السيرورات المادية ، لكن ثمة ايضا أدوارا خاصة بالتطور الروحي ، هي أدوار تنتظم حياة العروق والأمم والأفراد ، فهل للفلسفة الباطنية ان تتيح لنا الخوض أكثر في غمار عمل هذا الادوار ؟

ان الانية العليا ، أو المبدأ المتجسد ، هي التي تسود ، على المرتبة البشرية ، على الأنية الدنيا ، وتحكمها عندما لا تحيد الثانية المؤثرات القادمة من الاولى بفعل حمحاتها. وباختصار ، فإن الرباعي الأدنى المؤلف من المركبات المكونة للشخصية لا يعرقل الفردية في سيرها الحثيث على درب تطورها الصاعد الا حين تلدغ انانية الشخصية وأثرتها الانسان الباطن بنابها المسموم لدغة تشله ، وبذلك تفقد قوة الجذب الى أعلى كل سلطانها على الانسان العاقل .

وحدها معرفة عقيدة التقمص المتكرر للفردية نفسها طوال دورة من دورات الحياة ، مع اليقين بأن على " الجواهر الأفراد " نفسها أن تجتاز " دورة الضرورة " ، مثابة او معاقبة ، بالتقمص على الالم الذي عانته او على الجرائم التي اقترفتها في حياتها السابقة - نقول وحدها معرفة هذه العقيدة تعلل مسألة الخير والشر وتصالح الانسان مع جور الحياة الرهيب في ظاهره ، اذ لا شيء الا اليقين الداخلي ، القائم على المعرفة ، بوسعه ان يهدىء من روع احساسنا المتمرد بالعدالة .

اننا لنقف مذهولين أمام سر صنعتنا وأحاجي الحياة التي يعجزنا حلها ، فنتهم "وحش طيبة " العظيم بافتراسنا ، كما عبرت أسطورة اوذيبوس ، لكن ما من شيء حادث في حياتنا ، وما من حظ عاثر الا وبالوسع اقتفاء اثره حتى أفعالنا في هذه الحياة او في حياة سابقة ، فإذا خرق أحدهم نواميس التناغم الكوني ترتب عليه ان يستعد للوقوع اسير الفوضى التي تسبب في إحداثها .

ما الكون إلا التجلي الدوري للمبدأ المطلق، وههنا مكمن سر القاعدة الهرمسية الشهيرة "كما في الاعلى كذلك في الادنى " . والانسان هو الشاهد الحي على هذا الناموس الشامل وعلى سيرورة فعله الكوني .

مما لا مراء فيه ان كل حركة ، او تصرف، او إيماءة ، ارادية او تلقائية ، عضوية أو فكرية، ناجم عن احساس او عن انفعال ، عن إرادة او عن مشيئة ، عن تفكير أو عن تعقل ، او مسبوق به .

وكما ان كل حركة أو تغيير في الانسان الظاهر لا يتم مالم يتحرض بباعث داخلي عبر واحدة من الوظائف الثلاث المذكورة ، كذلك الأمر مع الكون الظاهر او المتجلي . وكما ان كوكبنا يدور حول الشمس مرة كل سنة ، ويدور حول نفسه في الوقت نفسه مرة كل ٢٤ ساعة ، ويقطع بذلك أدوارا صغرى ضمن أدوار أكبر ، كذلك تتم الفترات الدورية الصغرى وتتوالى .

يشرف على دوران العالم الجسماني ، بحسب الحكمة القديمة ، دوران مماثل في عالم الفكر ، هو في الواقع التطور الروحي للعالم الذي يتم ، مثله في ذلك كمثل التطور الجسماني وفقا لأدوار ، وبذلك نشهد في التاريخ تناوبا متواصلا بين المد والجزر في التقدم البشري . فكم من ممالك وأمم ، اذ بلغت أوج سؤددها ، دالت دولتها ، وانحدرت حتى الحضيض امتثالا للقانون الذي صعدت به . والبشرية متى بلغت نهايتها الحدية الدنيا ، تعود لتنهض مجددا وترتقي ، بحيث يكون العلو عينه الذي تبلغه وفقا لقانون التدرج الصاعد بالأدوار أرقى نوعا من علو النقطة التي سبق لها أن انحدرت منها .

بيد ان هذه الادوار لا تؤثر في البشرية قاطبة في آن واحد ، فإن الدور الاول يشتمل على تدرج البشرية منذ ظهور الانسان الاول في صورته الاثيرية ، ويجري طوال الادوار الصغرى لتطوره التدريجي من الاثيري نزولا حتى نصف الاثيري ، فالجسماني الصرف ، حتى افتداء الانسان من " قميصه " المادي ليعود بعده ويواصل مساره نزولا فصعودا من جديد حتى " الملأ الاعلى " ٠

وعلى المرتبة الانسانية يرتبط قانون التقمص او العود للتجسد بقانون كرما ارتباطا لا تنفصم عراه ، وتتلخص عقيده التقمص ، باكتساء الفردية الانسانية بسلسلة طويلة تكاد لا تنتهي من الشخصيات هي الأزياء والأدوار التي " يتقمصها " الممثل ويتواجد فيها ، مثلما يواجده بها جمهور المشاهدين مدة بضع ساعات هي مدة استمرار المسرحية ، اما الانسان الباطن الذي " يشخص " هذه الادوار فهو على دراية بأنه ليس هاملت او ياغو او جولييت او يورشيا الا إبان هذه المدة وحسب ، وأنه والمبدأ الأسمى من حيث الجوهر واحد ٠

المبدأ الاساسي الثالث :

كل مافي الكون ، كما بينا ، واع ، أي انه مزود بوعي من نوعه وعلى مستواه الخاص من التفتح فلا ننسين نحن البشر ، باننا ، وان لم يكن لنا بعد ان نبصر ارهاصات الوعي في الحجر مثلا ، فلا يحق لنا ولا يليق بنا ان نقول ان الحجر خلو من الوعي ، فكما انه ليس في الكون ثمة قانون " اعمى او " لاواع " كذلك ليس فيه مادة " ميتة " او " صماء " فهذه كلمات لا مكان لها في قاموس الفلسفة الباطنية التي لا تكتفي بمظاهر السطح الخارجي لأن الماهيات النومينية أشد واقعية ، في نظرها ، من نظيراتها الجواهر الفينومينية ٠

إن نظام الطبيعة بأسرها يتكشف عن مسيرة متدرجة نحو حياة أرقى ٠ فهنالك مخطط محكم يبطن فعل مايتراءى لنا في الظاهر قوى عمياء ، وما سيرورة التطور كلها ، بكل مآتيها ، الا برهان على وجود عقل كوني مدبر يفعل بواسطة نواميس سرمدية لا تخرق ٠

يتجلى الكون دوريا في سبيل غليان تتعلق بالتقدم الجماعي الكلي لحيوات فردية لا حصر لها - هي أنفاس من الحياة الواحدة وشرارات من النار الكلية - كيما تتمكن كل ذرة من ذرات هذا الكون الانهائي ، عبر الصيرورة الابدية ، من الصعود مجددا مع كل فترة عالمية جديدة ، مارة من اللاشكلاني وغير المحسوس ، عبر الطبائع المتمازجة لنصف الارضي ، نزولا حتى المادة في تشكلها التام ، ثم عائدة من جديد الى المصدر الذي أتت منه ، والآخذون بالتقمص وكرما ، ناموسه التوأم ، يدركون - وان على نحو مبهم - بأن سر الحياة كله قائم في السلسلة غير المنقطعة لتجلياتها ، ان في الاجسام او بمعزل عنها، وتعلمنا العقيدة السرية وحدة كل النفوس مع النفس الكلية ، ورحلة الحج الالزامية لكل نفس عبر دورات التجسد بما يتوافق مع القانون الدوري والكرماني ، وبعبارة أخرى ، ما من نفس يمكن ان يكون لها وجود مستقل واع قبل أن يكون للشرارة الصادرة عن النفس الكلية أ - ان تجتاز كافة الاشكال " العنصرانية " للعالم الفينوميني لهذا المنفنتارا ، و ب - ان تحوز على فردية ، بالدافع الطبيعي اولا ، ومن بعد بفضل جهودها الذاتية التحريض والذاتية التخطيط ، المنظومة بكرماها، وبذلك تتوقل كل درجات العقل ،من العقل الادنى ، " كاما-منس " الى العقل الارفع " بودهي - منس " ٠ من المعدني والنباتي حتى أقدس الملائكة فالعقيدة المحورية للفلسفة الباطنية ، كما تقول السيدة بلافاتسكي في العقيدة السرية ، لا تسمح بمنح الانسان امتيازات او مواهب مجانية ،

إلا ما حاز عليه منها بجهوده واستحقاقاته طوال سلسلة طويلة من التناسخات والتقمصات ٠

وتعلمنا هذه العقيدة ان على العقول الاولى، حتى تصبح " آلهة " كلية الوعي إذا جاز التعبير، أن تجتاز المرحلة البشرية ، وصفة " البشرية " هذه لا تنطبق على البشرية الارضية وحسب ، انما على البشر المقيمين في أي عالم ، اي هاتيك العقول التي بلغت التوازن الملائم بين المادة والروح ، فإن على كل كيان أن يفوز بنفسه بحق الالوهة عبر تجربته الذاتية ٠

ما من عالم بالغيبيات الا ويؤكد بأن الانسان في تشكله الجسماني هو ، بما لا يقل عن أي موجود أرضي آخر ، ابسط نتاج للقوى التطورية الطبيعية ، عبر سلسلة من التحولات لا حصر لها ، لكنه يطرح المسألة على نحو يختلف عن طرح العالم الوضعي لها ، من حيث أنه يعلم بأن " العنصرانيات " نصف العاقلة وغير العاقلة الدنيا ستصبح ذات يوم في عداد البشر ٠ وما امتياز العاقلة البشرية بالفطنة الا برهان عالم الغيب أن الانسان حصل المعرفة والفطنة عبر الدورة البشرية ، ليس في الكون الا علم مطلق بكل شيء وعقل مطلق واحد ، لايتجزأ ، يسطع في كل ذرة او نقطة لامتناهية في الصغر من نقاط الكون ، يدعوه الناس فراغا باعتباره بمعزل عن أي شيء مما يحتوي ، قد يكون هذا سرا مستعصيا على فهم " البراني " لكنه في الواقع حقيقة اختبارية في الفلسفة الباطنية ٠

بذا يتضح لنا وجود مخطط تطوري مثلث ، او بالحري ثلاثة مخططات منفصلة للتطور في الطبيعة ، متداخلة في منظومتنا ومتمازجة على نحو محكم في كل نقطة من نقاط الفراغ ، ألا وهي :

أ- التيار لجوهري الفردي أو الروحاني ٠

ب - التيار الفكري ٠

جـ- التيار الجسماني ٠ وهذه التيارات الثلاثة انما هي المظاهر او الانعكاسات للحق الواحد غير المحدود ، بحيث :

أ- يعني التيار الجوهري الفردي ، كما يشير اسمه بنمو الجوهر الفرد وتفتحه ، وصولا الى مراتب وجودية أرقى فأرقى ، بالاقتران مع -

ب- التيار الفكري المثل بـ واهبي الفطنة والوعي للانسان " او ما يعرف في الموروث الهندوسي بـ " منسا - بوترا " ٠

جـ- التيار الجسماني الذي تبلور من حوله الجرماني الراهن ، وينهض هذا الجسم بدور مركبة او وعاء للنمو ، اذا جاز التعبير ، وكذلك بالتحول بواسطة الفكر (منس " بفضل تراكم الخبرات ، من المنتهي الى اللانهائي ، من العرض الى الجوهر ، من الزائل الى الابدي ، ولكل منظومة من هذه المنظومات ناموسه ، وكل منها ممثل في تكوين الانسان - وهو الكون الصغير الذي يلخص الكون الكبير كما أسلفنا ، وإنما اجتماع هذه التيارات التطورية الكبرى فيه هو ما يجعله على ماهو عليه من تعقيد وإبداع صنعة ٠

ليس للطبيعة او القدرة التطورية الجسمانية أن تتمخض وحدها عن العقل بغير مساعدة - فهي بمفردها لا تستطيع ان تبدع الا اشكالا ، على ان العقول الالهية هي التي تملأ الفجوة ممثلة القوة التطورية للفطنة والعقل وصلة الوصل بين " الروح " و " المادة " ٠ ففي أثناء طفولة الذرية البشرية الاولى ، في بدء الدور البشري الحالي ، تشكلت مركبة مهيأة وتامة لتجسد أهالي الافلاك العليا ممن اتخذوا تلك الاشكال المولودة من المشيئة الروحية والقدرة الالهية الطبيعية في الانسان مساكن لهم ٠

في البدايات البكر لوجود الانسان على كوكب الارض كان الفكر النفساني والجسماني هاجعا ، وكان الوعي ما يزال غافيا وغير تام ، وكانت التصورات الروحية - بالتالي - غير متصلة بالمحيط الجسماني ، من حيث ان الانسان الالهي

كان مقيما في صورته الحيوانية (وان كانت تبدو بشرية من الخارج) ، ومع ان هذا الانسان كان يتحلى بالغرائز ، لم يكن أي وعي للذات ينير الظلمة التي كان يتلفع بها ، وحين نفخ فيه أرباب الحكمة امتثالا لقانون التطور ، شرارة الحكمة ، كان أول شعور استيقظ فيه احساسا فطريا بالتكامل والوحدة الكونيين مع " خالقيه " الروحيين ، وكأول إحساس ينتاب الطفل نحو أمه ومرضعته كذلك كان أول أشواق الوعي المستيقظ لدى الانسان البدائي نحو الذين كان يشعر بعنصرهم فيه وكانوا ، مع ذلك ، خارجه ، ومن ذلك الشعور ولد الاخلاص الذي غدا المحرك الاول والاهم في طبيعتة ، من حيث انه الشعور الطبيعي الاوحد في قلوبنا - الشعور الذي جبلنا عليه والذي يشترك فيه الطفل مع صغار الحيوان ٠

ان الثيوصوفيا تعتبر البشرية صدورا وفيضا عن حالة من " الالوهة " في طريقه الى العودة الى المبدأ الذي صدرت عنه ، وفي مرحلة متقدمة جدا من دروب التفتح الانساني الطويل يتم بلوغ مرتبة " النطاسة " التي لا يرقى اليها الا من نذر عدة تقمصات متوالية لبلوغ هذه المنزلة ، فلا يغيبن لنا عن بال ان ما من امرىء بلغ هذه المرتبة بين ليلة وضحاها ، وان حيوات عديدة ضرورية حالما يتم استيعاء الغاية المرجوة والاضطلاع من بعد بالتدريبات الشاقة التي لا مندوحة عنها لبلوغها ، وقد يكون عدد الرجال والنساء ممن باشروا هذا العمل الصعب ، الرامي الى تحقيق الاستنارة بالروح ، منذ عدة تجسدات سابقة لايستهان به ، غير أن هؤلاء ما يزالون ، من جراء أوهام حياتهم الراهنة ، إما جاهلين بذلك أو حتى في سبيلهم الى تفويت كل فرصة متاحة لهم في حياتهم هذه لإحراز بعض التقدم ، فهم يشعرون بانجذاب لايعاند الى علم الباطن والسرانية والحياة العليانية ، لكنهم من التمركز حول شخصياتهم ومن التعلق بالحياة الدنيوية ، بكل زيفها وأوهامها وملذاتها الزائلة، بحيث يقفون عاجزين عن التخلي والفقر الروحي ، وبذلك تضيع عليهم كل فرصة في هذه الحياة للتحول الى حياة أجمل وأعمق ، بيد أن الجوهر الفرد في كل موجود بشري - اللهم إلا اذا كسر الانحطاط الخلقي الأقصى صلة الوصل بينه وبين المبادىء الدنيا التي تفلت عندئذ من عقالها وتنطلق هائمة " على غير هدى على الدرب القمري " بحسب التعبير الغيبي - هو بحد ذاته فردية روحية ، واحدة ، بما هي كذلك ، مع الروح الكلية ، وعليها معقد كل رجاء في الخلاص والانعتاق ٠

هذا وان القلب الانساني لم يفصح بعد عن ذاته كل الافصاح ، وما زلنا بعيدين كل البعد عن بلوغ اوحتى استشفاف مدى قدراته ، أفكثير علينا ، والحالة هذه ، أن نؤمن بأن في مكنة الانسان أن ينمي في نفسه حساسيات جديدة ، وعلائق أوثق وأنبل مع الطبيعة والكون ؟ علائق موجودة فعلا لكنه لا يلقي اليها بالا ، وان لفي جعبته منطق التطور الكثير الكثير مما يمكن ، لا بل يجب ان نتعلمه ، على أن نتابعه حتى تخومه القصوى ، وعندئذ لا بد لنا من أن نعرف ، حدسا وكشفا ، انه ثمة ، عند نقطة معينة من الدرب الصاعد من المعدني والنباتي حتى أنبل البشر حيث تتفتح نفس موهوبة بالخصائص الفكرية ، ملكة إدراكية عليها ان تستيقظ في الانسان ، ممثلة بالقلب ، تمكنه من اكتناه أسرار الحقائق والوقائع مما يتخطى إدراكنا العادي ٠

أما الاحجام عن القبول بأن في منظومتنا الشمسية ، موجودات سوانا عاقلة ومفكرة على المرتبة الانسانية فهو من أفظع الاضاليل ، فما لأحد أن ينكر سلفا إمكانية وجود عوالم ضمن عوالم ، في شروط مختلفة عن الشروط التي تكون طبيعة عالمنا، وما لأحد ان ينكر علينا إمكانية قيام اتصال بين هذه العوالم وعالمنا ٠

خاتمة :

وبعد ، فإن الثيوصوفيا تقول لنا ان درب الخير هو درب الفلسفة - فلسفة الحياة والعمل ، بما ينطوي عليه ذلك من أثر مباشر على المواقف الاخلاقية ، فالمبدأ الاساسي الأول ، بما هو قاعدة الاخوة الشاملة ، يشدد على أن " الواحد الذي ماله ثان " موجود في كل موجود ، بما يجعله قادرا على تخطي أية درجة راهنة في المعرفة او اي كمال نسبي في الحياة والسلوك ، ويقتضي ذلك ان حضور هذه " الذات العليا " في كل صورة بشرية يعني ان بوسع كل انسان ان يتخطى ذات يوم أي معتقد أو أي سلك شائن بالمعايير الحالية وأن يحقق الخلاص والحرية ٠

بينما يقترح المبدأ الاساسي الثاني ، في كشفه عن شمولية الدورية في الكون ، ان التناوب بين المد والجزر في نمو الافراد يؤدي حتما الى تناوب بين الغشاوة والسطوع فيما يتعلق بغايات الروح ٠ فالانسان ذو النزعة المخربة قد يكون مخربا الان ولكن ليس الى الابد ، ولا بد له ذات يوم من أن يبلغ أشده ويغدو قانونا لنفسه بمعنى ان يكون وحده القادر على الافصاح عن القدرات العليا الكامنة فيه كلما أجازت له دورة حياته ذلك ٠

أما المبدأ الاساسي الثالث ، او " العقيدة المحورية " في الفلسفة الباطنية ففيه تجتمع كل المفاهيم المتفرعة عن المبدأين الاول والثاني ، فلما كان القصد من التطور هو تفتح الفردية ، وكانت الفردية لا تتفتح الا بمقدار مايدرك المرء المغزى من تفاعله مع الموجودات الاخرى ، كان مصير الانسان ينطوي بالضرورة على الاشتغال بالفلسفة كمنهاج حياة ، والقصد التربوي من الحياة ليس منع الانسان نفسه من اقتراف " الشر " فكرا أو عملا ، كما يظن عموما ، بل بالاحرى فهم مكونات الخير والشر ورؤية الروابط التي تشد مصير كل " نفس " الى مصائر النفوس الاخرى جميعا في الشر والخير معا ٠

كل عقيدة سامية فهي ضرب من المزاوجة بين "الفرفان" ومستوى من مستويات قدرة الانسان على استيعابه ، لذا لا بد ان يبلغ الانسان شوطا يتخطى فيه العقيدة بما هي كذلك الى الهدف الاوحد منها - معرفة النفس - على هذا الاساس قد تنطوي العقيدة على حقائق نفسية وروحية قد تيسر للمرء حدس هذه المعرفة الكلية وتحقيقها في باطنه ٠

إنما الحياة ، من المنظور الثيوصوفي ، مدرسة كبرى ، بل ما من مدرسة إلاها ، وهذا يحتم علينا بلوغ مرحلة من التطور الداخلي نشعر فيه بوجوب فهم المغزى من وجودنا ، ونعي طبيعتنا الحقة ولا ندخر وسعا لاستعمال كافة السبل المتاحة لنا ، في كل اتجاه وكل حالة من حالات وعينا (من صحو وحلم ونوم عميق ٠٠الخ) لمناغمة كياننا بحيث نوقع عليه أدواتنا الدنيا لتصبح تعبيرا كاملا عن طبيعتنا الباطنية الكونية لكن عالمنا الارضي صعب من حيث انه أدنى عوالم " السلسلة الكوكبية " المؤلفة من سبعة أجرام واشدها كثافة ، هو عالم الثنائية والصراع والتغير الذي يعسر فيه إدراك الوحدة المبطنة للكثرة والتعدد اللانهائي ، لذا فإن درب المعرفة فيه ليس بالدرب المهد بل هو درب "مفروش بالشوك والصحى المسننة ، وعلى مسالكه ان يدمى عقله وقلبه قبل ان تدمى يداه ورجلاه "٠ كما يقول ميخائيل نعيمة في نجوى الغروب ٠

بيد ان لنا رجاء في النور الخفي الساطع في كل شيء ، وفي الروح المستتر في باطن كل شيء وفي الحياة التي لا تهب لنا كل ساعة أقل من ذاتها ٠٠ ولنا، قبل كل شيء ، وفي كل شيء ، وبعد كل شيء ، الحق الذي نحن منه وبه ، واليه ، والذي " لا دين آعلى منه " وبه وحده نستهدي ٠

ديمتري افيرينوس

رجع الصدى

شعر: ياسين فرجاني

عرس القصيدة في ضفاف العاصي
غنى به دان وردد قاص
شعر سداه من الوفاء سجية
تبقى ولحمته من الإخلاص
يسمو الشعور به ويرويه صدى
شادٍ على الأدواح والأعياص
هيهات يسبر غوره ذو خبرة
بالسبر أو يحصي مداه الحاصي
لا تيأس وقد مررت بعوسج
يدمي فليس الورد كالقرّاص
والناس بعضهموا شخوص مثلنا
وإذا عددت فليس من أشخاص
إن ينطقوا فالمين دوما دأبهم
مستنفر للذم والإنقاص
والساغبون الظامئون إلى الأذى
يبقون في ظمأ وفي إخماص
سيان ما بين الذي بفعاله
يعلو وبين الهابط المهياص
في كل نازلة يعانيٍ ثقلها
وإذا طغت لا بد من إرهاص

والحر ما دامت له اخلاقه
حر ولو زجوه في أقفاص
يأبى وعبوق السماء ضميره
ناء عن الاذلال والإرخاص
كم راكض "والباص" يسبق خطوه
جريا فيلعن كل سائق "باص"
يثني العنان وليس يملك موبقا
يغنيه في التكسي عن الإنكاص
أو تاجر لص يمص دماءنا
لغبا وفي دمه هوى الألصاص
ألطغمة " الجهال " في أبراجهم
والصفوة العلماء في أخصاص
من يكرع الأكواب سائغة له
غير الذي سقياه في إغصاص
والعلم مثل الشهد ، حلو يجتنى
بكرائم الاعواد والأخراص
أقراصهم ليس القفير وعاءها
إن قاسها ذو الزيف بالأقراص
ويح البغاث - وقد خلت أجواؤه
مستنسرا من أجدل قناص
وأبو العواصم مدحت ندب لها
من كل بائع ذمة خراص
تزهو برواد الثقافة داره
فكأن منهلها الفرات العاصي
رب القوافي ، شاعر من عبقر
وإذا يقص فرائدُ القصاص

إن قال فالدر المنضد قولـــه
والـدر مـوقـوف عـلى الغـواص

**

هدهـد جراحـك واطمئـن فبرؤهـا
في الصبر ، إن الصبر باب خلاص
ودع الذي يسعى ليفسد صحبـه
مـن كـل مـأفـون الحجـى رقّـاص
وازرع ورودا فوحهـا وشـميمهـا
عطــر يضــر بعــائــب نكّــاص

مقياس السّعادة

هنادي عتمة

لا تولد السعادة الحقة في القصور بين جدران من ذهب او فضة ..
لا تولد بين صناديق المال التي يكتنزها أصحاب الغنى في قصورهم ..
فموطن السعادة الأصلي كائن في تلك النفوس الطيبة التي أدركت معنى هذه الكلمة فوجدت مفتاحها بين الصدق والامانة والحب والوفاء والصراحة والاخلاص والايثار والطهارة .. فعرفت طريقها الى الفرح والسعادة والراحة النفسية وبذلك كانت حياتها ربيعا دائما مشرقا بالنور والضياء ..

نداء

أيها الفارس القادم من بعيد ..
أتراك أتيت للقائي .. ؟
أتراك عرفت اسمي وعنواني .. ؟
أم .. تراني أغرق في بحر من الاوهام ؟
أناديك نداء يصعد الى علياء سمائك ..
أناديك وفي قلبي رعشة حب ولوعة ..
أناديك وفي نفسي نيران حرقة وحسرة ..
أيها الفارس القادم من بعيد .. عد إلي فأنا أنتظرك ..

سُعاد الصَّباح وَ آخِر السيوف



بقلم
وداد قبّاني

سعاد الصباح شاعرة تنصب خيمتها العربية في عقل المرء ، ثم تدق أوتادها في شرايينه وأعصابه ، حتى اذا ما استقرت، أطلقت العنان لمشاعرها التي تتفجر حبا وغضبا وثورة ، فلا يكاد المرء يقرأ لها شيئا من شعرها ، إلا ويشعر بسطوتها على إحساسه بالكامل ، تأخذه بيده وتدق فيه أبواب الوعي ، فإذا ما فتح لها جوارحه غاصت به مرة أخرى الى الأعماق حيث اللاوعي لتنتشر في خلاياه وتستقر أخيرا في القلب فلا تغادره أبدا ..

هذا رأيي الخاص في شعر الدكتورة سعاد الصباح بعد أن قرأت لها دواوينها الثلاث : فتافيت امرأة - وفي البدء كانت الانثى - وأمنية - ثم جاءتني قصيدتها الاخيرة (آخر السيوف) وهي مرثية في زوجها الامير عبد الله المبارك الذي قضى نحبه إبان أحداث الكويت ..

تبدأ قصيدتها بطرح قضية الكويت ، قضية الوطن ، بعمومها والتي تهم كل انسان أبي يشعر بكرامته وحريته مخاطبة رجلها الراحل :

ها أنت ترجع مثل سيف متعب
لتنام في قلب الكويت أخيرا
كسرتك أبناء الكويت ، ومن رأى
جبلا ، بكل شموخه ، مقهورا؟

.

...

نعم .. انها تنطلق من العام الى الخاص بعفوية إمرأة وبراعة ساحرة تدخل عبر مسام الجلد بنعومة فائقة فهي حزينة حزينة حتى العظم .. اندلق الحزن في أخدود صمتها الرهيب فاتحد الصمت بالصمت ، الى ان عصفت بها رياح الوجد فكان الانفجار شرارة تتقد من شرارة ، فجاءت بحق قصيدة تحكي فجيعة امرأة .

ما أقبح الغربان عندما تطيح بعش امرأة ،

أي امرأة - !! وتخطف منهاصاحب العش (الزوج) فتتركها ريشة في مهب الرياح ، تعصف بها من كل جانب ، تعاني الألم الدفين لفقد الشريك ، وقلق يؤكده القلق من مستقبل غامض، فعندما يرحل الزوج عن عشه ، يرحل معه الحب والأمان والحماية ، وتفقد المرأة هويتها الاجتماعية لتصبح مجرد امرأة .. نكرة .. لأن الزوج كان ولازال وسيبقى بالنسبة الى المرأة الشرقية مثل ال التعريف للاسم ، فعلى ماذا يدل الاسم حين يحذف منه أل التعريف ..؟ ؟

هذا الوضع يكون بالنسبة للمرأة العادية ولكن ماذا يكون الوضع بالنسبة الى شاعرة كبيرة كسعاد الصباح ، صدحت بأعذب الشعر وأرقه ، وتوهجت قصائدها بوميض الحب واشراقة الفكر النظيف المتقدم الذي يكنس بقايا التخلف المعشش في أروقة الدماغ العربي وفي خلايا النخاع الشوكي للانسان الشرقي فكان في اشعارها جرأة نادرة أتاحت لها أن تتربع في صدر الساحة الادبية العربية عموما والساحة الادبية النسائية خصوصا اذا كان هناك مجال للتقسيم بين الادب الرجالي والنسائي .. وهي أميرة عربية امتدت شهرتها في العالم العربي شرقه وغربه شماله وجنوبه ، تملك كل مقومات الجاه والسلطان ، شابة تستطيع ان تعبر بوابات الحياة بثقة .. هل يبدو الأمر كما شرحت أو أنه يتحول الى شيء آخر .. ولا أغالي أن قلت أن حزنها كان أشد من حزن المرأة العادية ، لسبب بسيط وهو أنها أكثر من زوجة ، هي حبيبة ورفيقة درب وصديقة .. فبفقده فقدت الكثير الكثير مما يدرك ومما لايدرك ..

وهذا ما سنصل اليه عبر قراءتنا للقصيدة الاخيرة (آخر السيوف) ..

من خلال القصيدة أراها مهرة عربية في صهيلها طعم المنون ، فقد جف في حلقها الحزن حتى اليباس ..

وفي مناخ الجفاف والحريق واللهاث وراء الموت والدمار الذي أحاق بالكويت امتد الحزن في ممالك الصمت فقد فقدت زوجها ورفيق حياتها وشريك عمرها الامير عبد الله المبارك فجاءت قصيدتها آية حب وروعة بناء ووفاء ما تخلت عنه المرأة العربية في يوم من الايام .. ونبل عاطفة وكيف لا وهي ليست مجرد امرأة فقدت في زوجها رجل البيت - وهذا والله كثير- فكيف وقد فقدت به الرفيق والمعلم .. ؟؟!!

فهو يخرج من قلبها المسكور نسرا يتضرج بدمائه ويالها من معجبة به فهو رغم جراحه وآلامه صبور في زمن رديء وصعب :

يا أيها النسر المضرج بالأسى
كم كنت في الزمن الرديء صبورا

.. وهل هناك أصعب من العاصفة التي حلت ببلد صغير وادع كالكويت ؟

أليس من حق النسور أن تهوي من عليائها ؟!! وهي التي ما اعتادت الحياة بذل وانكسار ؟ .. ولا وألف لا .. :

ما كان يمكن أن تعيش لكي ترى
باب العرين مخلعا مكسورا
.

فالكبير يولد كبيرا ويعيش كبيرا ، ويموت كبيرا ، وهذا قدر ولا مرد له :

صعب على الاحرار ان يستسلموا
قدر الكبير بان يظل كبيرا
..

أي فاجعة لامرأة أكثر الما من ان ترى باب عرينها مكسورا معرضا للرياح ، وأي حزن أشد من حزنها وهي ترى الخيول تشاركها حزنها ودمعها على فارسها الكبير ، حتى باتت تشرب من دمعها .. ما أروع المبالغة حين تمتد لتتشرب الحزن العميق فتغشى العيون فلا ترى ضوء النهار ولا ازرقاق البحر:

شربت خيولك دمعها وصهيلها
كيف الخيول تموت ؟ لا تفسيرا
ما عاد بحرك أزرقا ، يا سيدي
فكأنما صار النهار ضريرا
..
وإذا ما تساءل المرء .. لم كل هذا ؟ وكيف يصبح قدر الكبير ان يموت على ان يعيش ذليلا ..؟ وكيف للخيول ان تقضي دون تفسير ما ..؟ وكيف النهار يصبح أعمى والبحر يفقد زرقته الرائعة ..؟ ما سببت هذا .. ؟ يأتينا صوتها العميق المذهل عبر حدادها ليخبرنا بالفاجعة ويعلمنا عن الشجون والالام :
يا سيدي .. ان الشجون كثيرة
فاذهب لربك ، راضيا مبرورا
يتفتت التاريخ بين اصابعي
وأشاهد الوطن الجميل كسيرا
.
وتعود الى همومها وأحزانها ، وتتذكر هذا الزوج الحنون ، والرجل الكبير ، الذي لفها بعباءة الحب حتى صار لها الاهل والوطن والبحر والشاطىء :
أأبا مبارك .. كنت أنت قبيلتي
وجزيرتي والشاطىء المسحورا
يا خيمتي وسط ارياح ، من الذي
سيلم بعدك دمعي المنثورا ؟
..
لقد ذهب ، الى عالم الابدية ، حيث لا رجوع ، ولا عودة ، ولكن هل ذهب من حياتها ومن ذاكرتها ومن قلبها ؟ لا .. فمن كان مثله يبقى في داخلها صوتا دائما يرن صداه في أعماق الذات :
يامن ذهبت ، وما ذهبت ، كأنني
في الليل أسمع صوتك البللورا
أنت الربيع ، فلو ذكرتك مرة
صار الزمان حدائقا وعبيرا

وهل تفيد الدموع ، عند غياب الحبيب؟ ومن يملأ الفراغ الذي يتركه غياب الرجل عن بيته : تقول :
أأبا مبارك ، لو هناك مدامع
تكفي .. لفجرت الدموع نهورا
من ذا يغطينا بريش حنانه ؟
من يملأ البيت الكبير حضورا؟
..
وتعود لتراه مرة أخرى ملء القلب والنظر رجلا ، خبر الحياة ، وعاش نضجها وانسانيتها فانعكس ذلك سلوكا متميزا على بيته وزوجته ، فما كان يمثل لها الا الحماية والحب والامان والحنان بكل المشاعر فهو كما وصفته :
أنت السفينة ، والمظلة والهوى
يامن غزلت لي الحنان جسورا
غطيتني بالدفء منذ طفولتي
وفرشت دربي ، أنجما وحريرا
وحميت أحلامي بنخوة فارس
لم تلغ رأيا أو قمعت شعورا
.
الحب والحماية ، والامان ، صفات رائعة لرجولة شهمة تمثلت في زوجها الراحل ، وما تلك ا الرجولة الا تعبيرا عن رقي وانسانية هذا الرجل فتقول :
الله يعلم يا أبي . . ومعلمي
كم كنت إنسانا .. وكنت أميرا
..
مثل هذا الرجل بكريم شمائله يغدو قدوة ومثالا يحتذى ولم لا وهو الامير الرائد في كل المجالات فمن كان في موقعه لا يمكن الا ان يكون منارة على الطريق :
أأبا مبارك يا منارة عمرنا ..
يادرعنا ، وكتابنا المأثورا
كنت الكويت أصالة وحضارة
ومناقبا عربية وجذورا

كبير كبير هذا الرجل ، بحبه ، بحنانه ، بعطائه ، بدفاعه عن بلده وشعبه ، كبير بحياته وكبير في موته ٠٠ :

البحر أنت ٠٠ يفيض عن شطآنه
قدر الكبير بأن يكون كبيرا
أأبا مبارك ، سوف تبقى دائما
في العين كحلا والشفاه بخورا
يا آخذ الكلمات تحت رداءه
ما عدت بعدك أحسن التعبيرا

وإليك ، أيتها الشاعرة المجيدة ، عزائي الصادق ، فكلماتك ليست مجرد أبيات شعرية ، انها نبض دافق حزين وصادق ومن كان مثلك وحده الجدير بممالك الحزن العظيمة ٠

وداد قباني - سورية

حنين مغتربة

ضياء قصبجي

الآن أجوع ٠٠ أفتقر الى شيء ما
لا أذكره تماما ٠٠
أهو كأس من شراب التوت في يافا ٠٠؟
أم وجبة في أحد المطاعم الجزائرية ٠٠؟
أتراه قمر أخضر ٠٠ أم ذرة رمل ذهبية ؟
أم قطار عائد الى وطني ٠٠
أتراه سمكة ملونة ، من المتوسط ٠٠؟
أم طير مغرد في غابات الفرللق ٠٠ ؟
ألؤلؤة من الخليج ٠٠ ؟
أم قطرة من ماء النيل ؟
أم برتقالة من يافا ٠٠ ؟
الآن أجوع ٠٠
أفتقر الى شيء ما ٠٠
لا اذكره تماما
أهو حبة من كرز لبنان
أم زيارة لقلعة حلب الأثرية ٠٠ ؟
أم قطرة من ماء دجلة
أم قطار عائد الى وطني ٠٠ ؟

طيوف الأمل

شعر

عساف كمال الدين

على هامش قصيدة حنين في مرافىء الغربة للشاعر خضر الحمصي

نعاتب العمر عن أمس طويناه
ونأمل الخير في يوم سنلقاه
ونستعيد شريط الفكر نسأله
عن كل فعل وحب قد جنيناه
فنغمض الطرف عن شر أساء لنا
ونكبر النفس عن خير صنعناه
فتستبين لنا مرآة خاطرنا
فنحمد الله عن ما كنا عشناه
سريرة المرء أعمال تصورها
مظاهر نفذتها العين والفاه
والقلب مصدر حب لا حدود له
ومصدر الشر شيطان رجمناه
والعقل صاحب رأي المرء تلجمه
ظواهر قد رأتها عين مرآه
لكن للقلب أهواء تبرحه
إن طاوع العين في حب ستغشاه
تمر ذاكرتي بين الحنين وفي
شريطها حب من في القلب مأواه

عشق قديم وآهات لها أثر
من جوره قد ذوى قلبي وأدماه
يا عمر كم خاب مأمول حلمت به
وكم تأسيت يا قلبي بمأساه
عشت الطفولة مغلوبا يصارعني
فقر وبؤس وحرمان عرفناه
وفي شبابي تولاني الغرام وقد
عشت العذاب ولكن كنت أرضاه
وفي الكهولة أرعى شأن من حرمت
قلبي سعادتهم والبين اضناه
يا خضر لا تبتئس من غربة جنحت
بمرفأ حطمت شطآن سكناه
وأضرمت فيك نار الشوق فاحترقت
منك الضلوع وبات القلب يرعاه
يا خضر هذا مصير الحب يعرفه
كل المحبين فاشرب مر بلواه
ونحن منهم فحسن الصبر يحرسنا
فكلنا يا صديقي طال منفاه
عن الديار وعن أهل سنذكرهم
بالشوق حينا وهم في هجرهم تاهوا
وابعد الدهر عنا من نحبهم
وشتتنا صروف الهجر خلناه
من صدق ود وأحباب نطالبهم
نصح الوفاء الذي كنا وفيناه
يبقى الوفاء رصيدا لا يطاوله
الا صديق صدوق ليت نلقاه

يا صاح لا تشتك ان كنت مفتئدا
فالحب يفنى وتبقى روح ذكراه
أني وجدت من الذكرى سعادتها
حنين قلب وشوق عشت مغناه
للدار للأهل للأحباب ، أذكرهم
في خاطري وطيوف الحب نعماه
وحول قلبي آمال تراوده
ألا يكون ضنينا في عطاياه
بل يترك الهجر عل الله يمنحه
رضى المحبين أو صبرا سيرضاه

لأن في العمر لم نبق سوى أمل
رصيد ذكرى وصبر ما حرمناه

من الشعر النبطي

ديما الهاجري

ما أتعسك أيها الانسان
عندما تحبه ..
فتراه عاشقا لحب غيرك

وتتعب نفسك لتجعله سعيد
وهو يسعى لإيذائك

وتسهر وتقدم له النصح الجيد
فيصبح لك من ألد أعدائك

لم يجف بعد نهر الحب
في قلوب ما زالت من السبائك

- السعودية

الفيلسوف سراج الدين الأرموي
حياته - تآليفه - فلسفته

بقلم: فارس أحمد العلاوي

مقدمة :

ان دراستنا عن الفيلسوف " سراج الدين الارموي " ماهي الا محاولة أولية للتعريف بأحد الشخصيات الفلسفية العربية والاسلامية في القرن السابع الهجري ، فما نشر من دراسات عن هؤلاء الفلاسفة ما زال قليلا جدا إذا ما قارناه مع ما نشر من مؤلفات ودراسات وبحوث عن الفلاسفة العرب والمسلمين في عصر ازدهار الحضارة العربية الاسلامية من القرن الثالث الهجري الى القرن السادس الهجري ، والشيء الطريف ان الكثير من فلاسفة القرن السابع الهجري لم تكتب عنهما دراسة واحدة ، ومن بين هؤلاء كان فيلسوفنا سراج الدين الارموي الذي ظلمته المصادر التاريخية حين قدمت له ترجمة موجزة لا ترضي الباحث المتخصص في الفكر الفلسفي الاسلامي ولا تساعده على تقديم صورة واضحة متكاملة عن شخصية فلسفية متميزة في القرن السابع الهجري ، وما دام الأمر كذلك فاننا سنحاول ما أمكننا تقديم ملامح من حياة وتأليف وفلسفة " سراج الدين الارموي " .

حياة الأرموي :

هو الامام الفيلسوف القاضي أبو الثناء سراج الدين محمود بن بكر بن حامد بن أحمد الارموي التنوخي الدمشقي المعروف بسراج الدين الأرموي (١) ، تتفق المصادر التاريخية التي ذكرت سنة ولادة الارموي على انه ولد سنة اربع وتسعين وخمسمائة للهجرة (٢) ، وتتفق كل المصادر في أنها لا تذكر مكان ولادته ولكن الراجح انه ولد في مدينة " أرمية " (٣) حسبما يستنتج من نسبته فهو سراج الدين " الأرموي " .

وما سبق يدفعني لطرح السؤال التالي ، اذا كان سراج الدين قد ولد في " ارمية " الاذربيجانية . هل يمكن ان نستنتج من ذلك أنه فيلسوف أعجمي غير عربي ؟ .

قد يكون تساؤلنا السابق صحيحا كل الصحة إذا كان ما استنتجناه مبنيا على مكان ولادته فقط ، ولكن اذا أخذنا بعين الاعتبار تسلسل نسبه كما تذكره كتب التراجمة اي سراج الدين الارموي " التنوخي " فلا بد ان نغير حكمنا ونعتبره فيلسوفا عربيا ينتمي الى قبيلة " تنوخ " احد أشهر القبائل العربية ، وقد يكون احد أجداد الارموي من أبناء تلك القبيلة المهاجرين الى أذربيجان أيام الفتح العربي لها.

ويبدو أن سراج الدين نشأ في " ارمية " وعاش، فيها طفولته وسني شبابه ودراسته الاولى ، ورحل فيما بعد الى " الموصل " ليتابع فيها تحصيله العلمي ، وليقرأ على شيوخها وعلمائها ، وكان من بينهم " الكمال بن يونس " (٤).

أما المدينة الثانية التي أقام فيها الارموي بعد " الموصل " فلا يمكن تحديدها بدقة ، ولكن من خلال دراستي للفكر الفلسفي الاسلامي في القرن السابع الهجري أرجح ان تكون خراسان "

لانها كانت محط أنظار الفلاسفة في ذلك العصر ، وفيها كان يقيم الفيلسوف الامام فخر الدين الرازي الذي كان استاذا لمعظم فلاسفة القرن السابع الهجري ، وقد يكون الأرموي من بينهم ، فهو قد اختصر كتابين عامين للرازي هما : المحصول والاربعين وفيهما يقترض على الكثير من أفكاره الفلسفية والكلامية التي هيمنت على الفكر الاسلامي في ذلك العصر ٠

كانت " دمشق " المحطة قبل الاخيرة التي قصدها الارموي، ويبدو أنه أقام فيها زمنا لأنهم ينسبونه اليها ، فهو سراج الدين الارموي التنوخي " الدمشقي " ومنها رحل الى قونية (٦) وعاش فيها حتى وفاته ، وتتفق كل المصادر على ان الارموي تولى قضاء قونيه ولكنها لا تذكر السنة التي عين فيها وهل عزل من منصبه أم انه استمر فيه حتى وفاته ، تتفق جميع كتب التراجم التي ترجمت له ،
انها كانت سنة اثنتين وثمانين وستمائة للهجرة (٧) ٠

تاليف الارموي :

صنف فيلسوفنا سراج الدين الارموي مجموعة من المؤلفات في ميادين فكرية متنوعة تتوزع بين علوم اللغة والفقه واصول الدين والحديث والفلسفة والمنطق وعلم الكلام وهي بمجموعها تعبر عن فكره وفلسفته أصدق تعبير٠

والسمة البارزة في مؤلفات الارموي ان أغلبها كان شرحا او اختصارا لمؤلفات غيره من الفلاسفة والعلماء ومع ذلك فهي مؤلفات هامة لأنها تتضمن أهم أفكاره الفلسفية وأما مؤلفاته فهي :

١- أسئلة القاضي سراج الدين الارموي وهذه الاسئلة اوردها الارموي في كتابه " التحصيل " وقد وضع الامام ابي عبد الله محمد بن يوسف الجزري شرحا لتلك الاسئلة (٨) ٠

٢- بيان الحق في المنطق والحكمة وكشف الظنون

٣- تهذيب المحكم والمحيط الاعظم لابن سيده في اللغة ٠

٤- ذيل النهاية في غريب الحديث لابن الاثير ٠

٥- رسالة في أمثلة التعارض وهي كما يذكر حاجي خليفة " مجموعة من المسائل في الاصول "

٧- شرح الاشارات والتنبيهات لابن سينا في المنطق والحكمة ، كشف الظنون ٠

٨- شرح الوجيز في الفروع للامام الغزالي ، كشف الظنون ٠

٩- لباب الاربعين في اصول الدين للامام الرازي ويتغير عنوان الكتاب في معجم المؤلفين فيصبح تلخيص الاربعين في اصول الدين فالكتاب كما يظهر من عنوانه مختصر لكتاب الاربعين الذي صنفه الامام فخر الدين الرازي ٠ ورتبه على اربعين مسئله من مسائل الكلام (١٠)

١٠- مختصر شرح السنة للبغوي , هدية العارفين

١١- مختصر المحصل في اصول الفقه للامام فخر الدين الرازي ، وقد حمل كتاب الارموي عنوان " التحصيل " وهو يذكر في مقدمته " ان الهمم قد قصرت عن المطالب العالية الى ان استكثروا اليسير حتى ان المحصول مع لطافة نظمه ولطافة حجمه يستكثره اكثرهم فالتمس بعضهم منه اختصاره مع زيادات من قبله فأجاب (١١) وبسبب وضوحه وبساطته فقد حظي كتاب الارموي والتمصيل بشهرة كبيرة بين العلماء ٠

١٢- مطالع الانوار في المنطق وقد أخطأ عمر رضا كحالة في معجمه عندما ذكر ان عنوان الكتاب هو لوامع الاسرار في شرح مطالع الانوار (١٢) لأن لوامع الاسرار هو الشرح الذي وضعه الامام قطب الدين الرازي ، ولو ان كحالة قرأ ما كتبه حاجي خليفه في كشف الظنون لأدرك خطأ ، فصاحب الكشف يكتب " مطالع الانوار في الحكمة والمنطق للقاضي سراج الدين محمود بن ابي الارموي ٠٠ عليه شروح كثيرة منها شرح قطب الدين محمد بن

محمد الرازي التحتاني لغياث الدين الوزير فصار عظيم القدر كثير النفع ، وتوفي - يقصد قطب الدين - سنة ٧٦٦هـ اوله الحمد لله فياض ذوارف العوارف ، وسماه لوامع الاسرار (١٣)

مما سبق نستنتج ان كتاب مطالع الانوار من تأليف القاضي الفيلسوف سراج الدين الارموي وان كتاب لوامع الاسرار للرازي شرحا عليه ، ويؤكد ماذهبنا اليه من رأي ان كتاب الارموي وشرح الرازي عليه وحاشية السيد الشريف الجرجاني على شرح الرازي قد طبعا معا في تركيا سنة ١٣٠٣هـ (١٤)

ومما هو جدير بالذكر ان كتاب مطالع الانوار كان محط اهتمام العلماء في القرن السابع الهجري وما تلاه ، فكتبوا عليه عشرات من الشروح والحواشي ، كان من اشهرها شرح قطب الدين الرازي وشرح بدر الدين محمد بن أسعد اليمني المشهور بالتستري وقد حمل شرحه اسم " حل عقد مطالع الانوار " ومن أشهر الحواشي حاشية السيد الشريف الجرجاني على لوامع الاسرار للرازي ، ومن العلماء الذين كتبوا شروحا وحواشي تذكر شهاب الدين الشرواني وزاده الروي وميرمرتضى الشيرازي والسعد التفتازاني وعلاء الدين علي الطوسي وغيرهما الكثير (١٥)

١٣- المناهج في المنطق ، كشف الظنون ٠

فلسفة الارموي :

ترجع صعوبة تقديم ملامح من فلسفة الارموي الى ان بعض مؤلفاته قد فقد وبعضها الاخر ما زال مخطوطا ولا يوجد بين ايدينا الا كتاب وحيد هو مطالع الانوار في المنطق ، وشذرات من كتاب " اللباب " اوردها ابن تيمية في كتابه ٠٠ درء تعارض العقل والنقل ٠ وما وجدناه لا يساعدنا على رسم صورة واضحة عن فلسفته ولكنه يساعدنا على تقديم بعض من اهم افاره الفلسفية والمنطقية ٠

نبدأ بعرض افكار الارموي الفلسفية الواردة في كتاب " درء تعارض " العقل والنقل فابن تيمية (١٦) خصص كتابه الضخم للاجابة على السؤال التالي : إذا تعارضت الادلة السمعية والادلة العقلية فأيهما نرجح ؟ ولكي يجيب عن سؤاله السابق يعرض ابن تيمية تلك الادلة ويبين رأي الفلاسفة والمتكلفين فيها ٠ ومن بين تلك الادلة حدوث الحركات والاعراض ، ولتوضيح هذا الدليل يذكر رأي الفلاسفة والمتكلفين واعتراض الارموي على الرازي فالفلاسفة المشاؤون يرون انه يتمكن اثبات العلة الفاعلية والغائية ، ويعللون مافي العالم من الحوادث بأسباب وحكم ، وهم عند التحقيق اعظم تناقضا من أولئك المتكلمين لا يثبتون علة فاعلية ولا غائية بل حقيقة قولهم ، ان الحوادث التي تحدث لا محدث لها لأن العلة التامة القديمة مستلزمة لمعلولها ، لا يمكن ان يحدث عنها شيء ٠

اما الامام فخر الدين الرازي في كتابه الاربعين فانه يرى ان الفلاسفة قالت : حاصل الكل اختيار ان كل ما لابد منه في ايجاد العالم لم يكن حاصلا في الازل لأنه جعل شرط الايجاد اولا، الوقت الذي تعلقت الارادة بايجاده فيه وثانيها الوقت الازل ، وخامسا ، الوقت الذي يمكن فيه ، وسادسا ترجيع القادر ، وشيء منها لم يوجد في الازل ، فالرازي يرى ان هذا يقتضي دوام المعلول الاول لوجوب دوام واجب الوجود ، ودوام الثاني لدوام الاول ، وهلم جرا ، وانه ينبغي الحدوث أصلا واذا قلت :واجب الوجود عام الفيض ، يتوقف حدوث الاثر عنه على حدوث استعدادات القوابل بسبب الحركات الفلكية والاتصالات الكونية فكل حادث مسبوق بآخر لا الى أول ٠

اعتراض الارموي على الرازي :

يخاطب الارموي الرازي قائلا : ان عنيت بالسبب السبب التام فحدوثه لا يدل على حدوث

المسبب الفاعل ، بل يدل اما على حدوثه او حدوث بعض شرائطه وان عنيت به السبب الفاعل لم يلزم من حدوث العرض المعين حدوثه ، بل اما حدوثه او حدوث بعض الشرائط وحدوث الشرائط والمعدات غير المتنامية على التعاقب جائز عندكم ٠

اما الجواب الباهر عما سبق فانه عند الارموي كما يلي ، " انه لا يلزم من ذلك قدم العالم الجسماني لجواز ان يوجد في الازل عقل او نفس يصدر عنها تصورات متعاقبة ، كل واحد منها بعدما يليه حتى ينتهي الى تصور يكون شرطا لفيضان العالم الجسماني عن المبدأ القديم ٠

ينتقد ابن تيمية الارموي في اعتراضه على الرازي فيقول : انه اذا كان التقدير ان العلة التامة مستلزمة لمعلولها ، ومعلولها لازم لعلته ، امتنع ان يحدث عنها شيء فما حدث لا بد له من سبب تام له ، فيلزم وجود اسباب ومسببات لانهاية لها دفعه واحدة وهو محال ٠

وأما قول الارموي ان عنيت بالسبب السبب التام فحدوثه لا يدل على حدوث السبب الفاعل بل اما على حدوثه او حدوث بعض شرائطه ، فيقال له هذا التقسيم صحيح اذا نظر الى الحادث من حيث الجملة ، وأما اذا نظر الى حادث يمتنع حدوثه عن العلة التامة فلا بد له من حدوث سبب تام " ٠

ويتابع ابن تيمية رده على الارموي فيقول : واما الجواب الذي أجاب به الارموي وذكر انه باهر فهو منقول من كلام الرازي في المطالب الغالية وهو منقوض بهذه المعارضة مع انه جواب بعضه موافق لقول اهل الملك وبعضه موافق لقول الفلاسفة الدهرية ، فانه مبني على اثبات العقول والنفوس ، وانها ليست اجساما وكونها قديمة أزلية لازمة لذات الله تعالى ، وهذه الاقوال ليست من أقوال اهل الملل بل أقوال باطلة ، وبين ان ما يدعونه من المجردات انما ثبوتها في الاذهان لا في الاعيان وقد اجاب الارموي بهذا الجواب لأن هؤلاء المتأخرين كالشهرستاني والرازي والامدي زعموا ان ما ادعاه هؤلاء المتفلسفة من اثبات عقول ونفوس مجردة لا دليل للمتكلمين على نفيه ، وأن دليلهم على حدوث الاجسام لا يتضمن الدلالة على حدوث هذه المجردات ، وهذا القول باطل برأي ابن تيمية ، وذلك لأن أئمة الكلام صرحوا بأن انتفاء هذه المجردات وبطلان دعوى وجود ممكن ليست جسما ولا قائما بجسم ، مما يعلم انتفاؤه بضرورة العقل كما ذكر ذلك الاستاذ ابو المعالي وغيره ، بل قال طوائف من اهل النظر ان الموجود منحصر في هذين النوعين وان ذلك معلوم بضرورة العقل ، وبعبارة أخرى نقول ان ماذكره الارموي مبني على هذا الاصل ومضمونه ٠

ان الرب تعالى موجب بالذات للعقول والنفوس الازلية اللازمة لذاته ولا فاعل لها بمشيئته وقدرته وهم يفسرون العقول بالملائكة فتكون الملائكة قديمة أزلية متولدة من الله تعالى ، لازمة لذاته ، وهذا شر من قول القائلين بأن الملائكة بنات الله ، وهو موافقة للدهرية على العلة والمعلول ، ولكن النزاع بينهم في حدوث العالم الجسماني لكنه بالجملة يبطل احتجاجهم على ان السماوات قديمة أزلية، فهو قطع لنصف شرهم وهذا الجواب برأي ابن تيمية مبني ايضا على جواز التسلسل في الحوادث التي هي آثاره والقول بجواز حوادث لا أول لها ، وهذا احد قولي النظار ، وهو اختيار الارموي وبه اعترض على الرازي في غير موضع ، وبه اعترض الارموي على جواب الرازي عن حجة التأثير التي مبناها على ان التأثير الذي يدخل فيه الخلق والابداع هل هو أمره وجودي امر عدمي ؟ وهل الخلق هو المخلوق ، او غير مخلوق؟

ويتابع الارموي اعتراضه على الرازي قائلا ، وليس التأثير امرا سلبيا ، لأنه نقيض قولنا :

ليس بمؤثر ، فذلك الوجودي ان كان حادثا افتقر الى مؤثر وكانت مؤثريته زائدة ، ولزم التسلسل ، وان كان قديما ، وهو صفة اضافية لا يعقل تحققها مع المضامين فيلزم قدمهما ، وأما الرازي فيرى ان المؤثرية ليست صفة ثبوتية زائدة على الذات ، والا كانت مفتقرة الى المؤثر فتكون مؤثرته زائدة ويتسلسل ٠

ويرد الارموي فيقول : " ولقائل ان يقول التسلسل ههنا واقع في الاثار ، لأن المؤثرية صفة اضافية يتوقف تعقلها على المؤثر والاثر ، فتكون متأخرة على الاثر فاقتضت مؤثرية اخرى بعد الاثر، حتى يكون بعد كل مؤثرية مؤثرية "٠

ثم ان الصفة الاضافية العارضة للشيء بالنسبة الى غيره ، كما يقول الارموي - لا تتوقف الا على وجود معروضها فان التقدم صفة اضافية عارضة للشيء بالنسبة الى التأخر عنه ولو بأزمنة كثيرة مع امتناع حصول المتقدم مع المتاخر "٠

يعترض ابن تيمية على رأي الارموي لأنه إذا كان قوله صحيحا لم يلزم تحقق المؤثرية وجود المؤثر جميعا في زمان واحد ، بل يجوز تأخر الاثر عن المؤثر ، واذا كانت الصفة العارضة للشيء لا تتوقف بل يكفي فيها تحقق المؤثرية فقط ٠

وقال الارموي مخاطبا الرازي : " فان قلت واجب الوجود عام الفيض ، يتوقف حدوث الاثر عنه على استعدادات القوابل ، فكل حادث مسبوق بأخر لا أول له "٠

ان الكلام السابق يدل حسب اعتقاد ابن تيمية ان الارموي لم يفهم حقيقة الالزام كما اراده الرازي واعترض عليه بما لايقدح فيه سواما من قال : ان الاثر انما يحصل عقب تمام المؤثر فيمكنه ان يقول فيما ذكره الارموي وهو ان كونه مؤثرا في الاثر المعين يكون مشروطا بحادث يكون الاثر عقبه ولا يكون الاثر مقارنا له ، وقوله : ان هذا يقتضي التسلسل في الاثار لا في المؤثرات كلام صحيح على قول من يقول : " ان الاثر لا يجب ان يقارن المؤثر في زمان بل يعقبه " : وكان الارموي يمكنه ان يجيب بان حدوث الاجسام موقوف على حدوث التصورات المتعاقبة في العقل أو النفس ٠

وبعد ان قدمنا شذرات من أفكار الارموي الموجود في كتاب " درة تعارض العقل والنقل " ننتقل للحديث عن اهم القضايا المنطقية التي عالجها في كتابه " مطالع الانوار " (١٣) ٠ يقول الارموي في مقدمته : " فهذا مختصر في العلوم الحقيقية والمعارف الالهية وسميته مطالع الانوار، ورتبته على طرفين الاول في المنطق والثاني اربعة اقسام الاول في الامور العامة والثاني في الجواهر خاصة والثالث في الاعراض خاصة والرابع في العلم الالهي خاصة " ص٧ أما المنطق فهو ينقسم الى قسمين :

الاول : في اكتساب التصورات وفيه بابان الاول في المقدمات وهو يتفرع أيضا الى فصول في الفصل الاول منه يعرف المنطق ويبين الحاجة اليه ، فالمنطق عنده هو القانون الذي يفيد معرفة طرق الانتقال من المعلومات الى المجهولات وشرائطها حيث لا يعرض الغلط في الفكر الا نادرا ص ١٥ ٠

واما موضوع المنطق فهو " التصورات والتصديقات ، لأنها توصل الى مطلوب تصوري او تصديقي ايضا قريبا او بعيدا ص ٢٠ والموصل الى التصور يسعى قولا شارحا لشرحة ماهية الشيء والى التصديق حجة ، والنظر في الموصل الى التصور اما في مقدماته وهو باب ايساغوجي المدخل الى المنطق واما في نفسه وهو باب التعريفات وكذلك الموصل الى التصديق اما فيما يتوقف عليه وهو باري ارمينياس واما في نفسه باعتبار الصورة وهو باب القياس او باعتبار المادة وهو باب من ابواب الصناعات الخمس لانه ان اوقع ظنا فهو الخطابة او يقينا فهو البرهان والا فان

اعتبر فيه عموم الاعتراف او التسليم فهو الجدل والا فهو المغالطة واما الشعر فلا يوقع تصديقا ولكن لا فادته التخيل الجاري بمجرى التصديق من حيث انه يؤثر في النفس قبضا وبسطا عد في الموصل الى التصديق •

ثم ينتقل الارموي الى مباحث الالفاظ وهي ثلاثة الاول الدلالة الوضعية على تمام ما وضع له مطابقة وعلى جزئه تضمن وعلى الخارج عنه التزام " ص ٢٦ وهو يشير الى ان " التضمن والالزام يستلزمان المطابقة ولا تستلزم المطابقة التضمن " ص٣٢ •

يتحدث الارموي في الباب الثاني عن مباحث الكلي والجزئي ثم يتحدث عن الكليات الخمس وهي : الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض وهو يقدم تعريفا لها كما يلي :

الجنس هو " الكلي المقول على كثيرين مختلفين بالنوع في جواب ماهو " ص ٧٦١

النوع هو " الكلي المقول على كثيرين مختلفين بالعدد فقد في جواب ما هو " ص ٧٨

الفصل هو " الكلي المقول على الشيء في جواب اي شيء هو في جوهره " ص ٨٢

الخاصة هي " الكلي المقول على ما تحت طبيعة واحدة فقط قولا غير ذاتي " ص ٨٩

العرض العام هو " الكلي المقول على ماتحت أكثر من طبيعة واحدة قولا غير ذاتي ص ٨٩

القسم الثاني : في اكتساب التصديقات وفيه يتحدث الارموي عن اقسام القضايا واجزائها وأحكامها فيتحدث عن القضايا الشرطية والحصلية والكلية والجزئية والموجبة والسالبة وعكس القضايا والتناقض وعكس النقيض وغيرها من مباحث القضايا •

وفي الباب الثاني يبحث في القياس و يبدأ بتعريفه فهو قول مؤلف من قضايا متن سلمت لزم عنه لذاته قول آخر " ص ٢٩٦ فاذا قلنا كل جسم مؤلف محدث لزم عن قولنا بالضرورة ان كل جسم محدث •

ويستمر الارموي الى اخر كتابه في الحديث عن القياس واشكاله الاربعة المنتجة ، فهو بالمحصلة يتحدث عن جميع المسائل والقضايا المنطقية التي عالجها الفلاسفة العرب والمسلمين في العصور الاسلامية السابقة ولكي لا نظلم الارموي ونشكل في قيمة ماوضعه من مؤلفات نقول : ان ما وجدناه من افكار فلسفية وكلامية للارموي في " مطالع كأنوار " و " الباب " يؤكد على سعة اطلاعه على الفكر الفلسفي الاسلامي ومهارته في معالجة المشكلات الفلسفية التي كانت مدار البحث بين العلماء في ذلك العصر وتبدو اصالة الارموي انه لا يكتفي بعرض افكار غيره من الفلاسفة والمتكلمين بل ينتقدها ، ويبين وجه الحقيقة فيها وممن وجه الارموي نقده اليهم نذكر الفارابي والشيخ الرئيس ابن سينا والامام الغزالي والامام فخر الدين الرازي والفيلسوف زين الدين الكشي وهذا ما تميز به الارموي عن غيره من فلاسفة القرن السابع الهجري وختاما أرجو ان تكون دراستي عن الفيلسوف سراج الدين الارموي خطوة على الطريق الصحيح للتعريف بتراثنا الفلسفي العربي والاسلامي في القرن السابع الهجري واضاءة جوانبه ، وتحليل نصوصه ، بغية الخروج بنتائج تساعدنا على فهم ذلك التراث ومعرفة موقعه الصحيح في سياق تطور الفكر الفلسفي الاسلامي •

الهوامش في العدد القادم

في رحاب الأدب السعودي

اعداد د: تميم الحكيم

الخوجة ٠٠ قدوة للقادرين :

لم يكن مستغربا من رجل الكرم والأريحية، أن يتجاوب مع اقتراح (المجلة العربية)، فيعلن عن استعداده لنشر جميع الأعمال الشعرية ، للأديب السوري الراحل (عمر بهاء الأميري) شاعر الاسلام والانسانية ٠

فلقد عرف عن الاستاذ عبد المقصود خوجة رعايته للأدب والأدباء ، سواء من خلال صالونه الأدبي الشهير الذي يشهد أروع صور التكريم والاحتفاء ، أو من خلال دعمه لكل عمل ثقافي جاد في وطننا العربي الواسع الأرجاء ، مما يؤكدعشق هذا الرجل للأدب وما يكنه له من وفاء ٠

ولا شك أن الكثيرين من رجال الأعمال ، لا يذكرون الا بحجم ماعندهم من أموال ، فيمتدحهم الطامعون بزائف الأقوال ٠٠ ولكنهم سيسقطون من الذاكرة لأنهم لم يقدموا ما يخلدهم



صورة تجمع الشاعر السوري الراحل محمد بهاء الاميري وراعي الادب والادباء الاستاذ عبد المقصود الخوجة ومعالي الدكتور راشد الراجح رئيس نادي مكة الثقافي الادبي

عبر الأجيال ٠٠

أما الوجيه (الخوجة) فإن له الأيادي البيضاء ، وهو الملبي لكل نداء ، وهو المدرك لقيمة المفكرين والعلماء ، والمسخر ما عنده لتحقيق النافع من الرجاء ٠

فتحية للخوجة على ما يبذله من عطاء ، ودعوة للقادرين أن يقتدوا به فالخلود للعاملين الكرماء ٠

الحازمي ٠٠ رئيسا لنادي جازان :

تم تعيين الأستاذ حجاب يحيى الحازمي رئيسا لنادي جازان الأدبي ، خلفا للأستاذ عمر طاهر زيلع ، الذي كان يشغل هذا المنصب بالنيابة ٠٠

والأستاذ الحازمي من خيرة الأدباء السعوديين في المنطقة الجنوبية ، وهو شاعر وناقد وقاص ورجل تربية وتعليم ، وله العديد من الاسهامات الثقافية والادبية الفعالة ، والآثار القيمة٠

من مكتبة الصحافة السعودية :

عن (مؤسسة البلاد للطباعة والنشر) تصدر في المنطقة الغربية من المملكة العربية السعودية جريدة يومية ومجلة اسبوعية ٠٠

(البلاد) :

أما الجريدة فهي - البلاد - وهي أو ل جريدة سعودية يومية ، فقد بلغت من العمر ما يقرب من ستين سنة ، وصدر منها ما يزيد عن عشرة آلاف وثلاثمائة عدد ٠

يرأس تحريرها الدكتور عبد العزيز محمد النهاري ، عضو هيئة التدريس في (جامعة الملك عبد العزيز) ويدير تحريرها مديران ناجحان وصحفيان مخضرمان وهما الاستاذ ناصر عبد



● حجاب الحازمي

عبدالعزيز الخزام



● علي حسون

محمد المنقري

الرحمن الشهري ، والاستاذ علي محمد حسوني ٠

وتصدر البلاد في ست عشرة صفحة ، منها الصفحات السياسية ، وصفحات الأخبار المحلية ، وصفحات الرأي ، والدين والثقافة ، والفن ، والاقتصاد ، والقراء ، والرياضة ، وغيرها وتتميز بعدد أسبوعي منوع يصدر يوم الجمعة ٠

و البلاد ٠٠ من أكثر الصحف السعودية اهتماما بآراء القراء ، وبالمواهب الشابة ، وبالاقلام الواعدة ، وقد تخرج من مدرستها الكثير من الصحفيين الناجحين ٠

وانطلاقا من اهتمام هذا الصحيفة بالأدباء الشباب فقد أوكلت أعداد الصفحة الثقافية فيها لطالبين جامعيين هما : محمد المنقري ، وعبد العزيز الخزام ٠٠

وقد استطاع هذان الشابان بموهبتهما واجتهادهما واعتدال توجهاتهما أن يقدما وجبة

ثقافية يومية مقبولة ، استقطبت الكاتب الجيد والقارىء الواعي ..

كما أن اهتمام المشرف على الصفحة الفنية الاستاذ سهيل طاشكندي بالحركة الفنية المحلية والعربية ، جعلت من هذه الصفحة صفحة مقروءة موفقة ..

(إقرأ) :

أما المجلة الأسبوعية فهي مجلة (اقرأ) التي تأسست في ٢٤-١١-١٣٩٤هـ) كانون الاول ١٩٧٤ م ومن رؤساء تحريرها السابقين : الدكتور عبد الله المناع ، والاستاذ أسامة السباعي .

ويرأس تحريرها حاليا الصحفي والكاتب والفنان الاستاذ يحيى محمد باجنيد ، ويدير تحريرها الاستاذ حسن ناصر الظاهري ، صاحب القلم الناقد ، والكلمة المعبرة ، والرؤية الواقعية ، والعلاقات الحسنة .

وتصدر هذه المجلة في (٧٨) صفحة ملونة ، وتزخر بالموضوعات السياسية ، والدينية ، والثقافية والعلمية ، والفنية ، والاجتماعية ، والتربوية ، والرياضية وغيرها ..

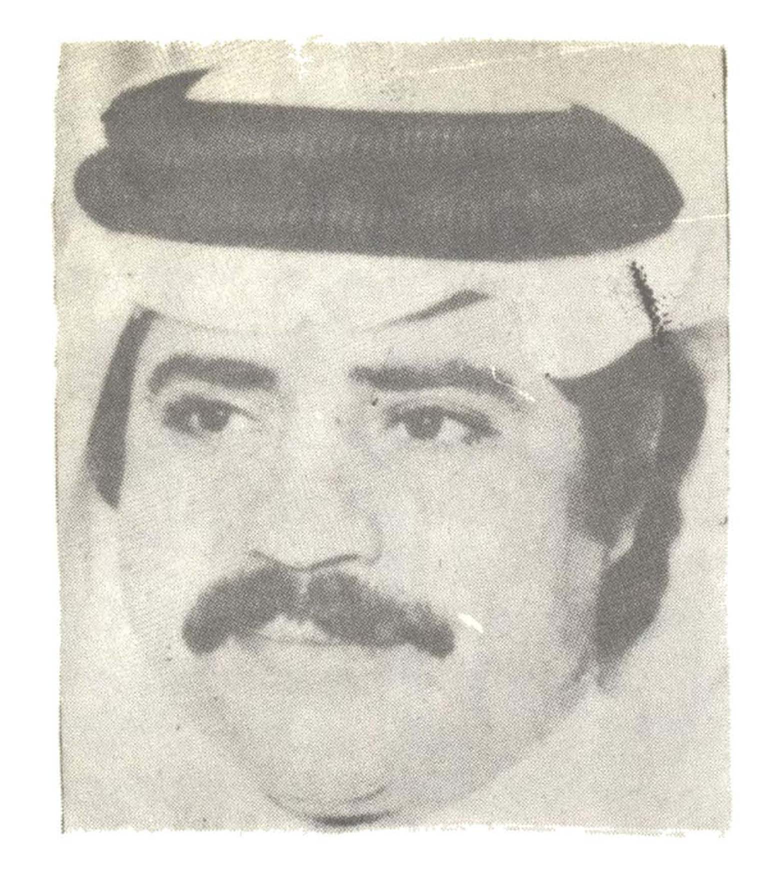
ومن المشرفين على أبوابها الاستاذ عبد الله رجب ، المشرف على (حديث الروح) ، والاستاذ محمد باجنيد ، المشرف على الحياة الفنية ، والاستاذ عابد الحربي ، المشرف على الصفحات الرياضية ..

ومجلة (اقرأ) هي المجلة الاسبوعية الوحيدة التي تصدر في المنطقة الغربية ، وهي احدى ثلاث مجلات اسبوعية تصدر في السعودية.

(شاعرية المكان) :

اضافة ثرية للمكتبة الشعرية ..

قدم الدكتور جريدي سليم المنصوري



ناصر الشهري

الثبيتي ، رئيس قسم الادب في كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى ، الى المكتبة الشعرية ، مؤخرا ، كتابا رائدا في موضوعه ، متميزا في معالجته ، أنيقا في اخراجه .

عنوان الكتاب (شاعرية المكان) ، وهو بحث في فلسفة الجمال والمعاني الشعرية ، يضم مسائلا تتعلق بشاعرية المكان وجمالياته ودلالاته في الفكر العربي .. فالكتاب يتناول تجليات المكان في الفكر العربي ، ودلالة أسماء المواضيع ، وكيفية تعامل الشعراء معها ، ويقف عند المكان والأحباء كالمرأة والناقة ، والغزال والاسد والطير مثلما يقف عند بيوت الاشياء كالعش والقوقعة وبيت العنكبوت وقرية النمل .. كما يتناول المواضيع التي احتضنت العواطف الانسانية للجماعة وتغنى بها الشعراء مثل وجرة والبان ، ودارين ونعمان ، ونجد والريان ، والعقيق وثهلان ..

ويتجاوز البحث الوقوف عند البيت المفرد ليقف عند بعض القصائد حيث يظهر دور المكان في بنية القصيدة ، وكيفية تشكيل الشاعر له حسب تصرفه في المعاني والأغراض ، ويمتد الأمر ليشمل البحث في الأعراف الشعرية التي التزمها

الشعراء في بناء المعاني والقصيد

ومن الملاحظ في هذا البحث كثرة المراجع التي اعتمد عليها المؤلف والتي بلغت (١١٦) مرجعا كما يلاحظ استيعاب المؤلف للتراث مع الانفتاح على المعاصرة ، وتنوع الاستشهادات الشعرية بين الماضي والحاضر ..

يضم الكتاب أربعة فصول ، ويقع في ١٧٢ صفحة من الحجم المتوسط .

والى اللقاء ..

أُحبُّكَ حُلُماً

شعر : ابتسام هنداوي

أحبك في هدأة الليل طيفا
يبارك نومي ، ويحنو عليا
أحبك طفلا ، ملاكا رقيقا
أحبك ترنو بصمت إليا
أحبك تهوى غدائر شعري
وأهواك تغفو على كتفيا
أحبك نارا تذيب فؤادي
وارضاه قلبا محبا شقيا
أحبك خمرا وما ذقت خمرا
وتاهت بي الدرب لم أدر شيا
أحبك صدرا ألاقيه رحبا
إذا أثقلتني هموم لديا

أحبك نايا حزينا حنونا
أحبك لحنا طروبا شجيا
أحبك آها تمزق روحي
وغصة شوق وحبا نديا
أحبك حلما بعيدا بعيدا
أحبك دمعا ملا مقلتيا
أحبك في الحب قلبا وفيا
وأهواك في البعد نجما عليا
وحسبي ألقاك في الليل طيفا
وصوتا حنونا حبيبا إليا
وحسبي ذكرى أحن إليها
وحسبي أهوى هوى أبديا